

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

ألف وجيه



Looloo

www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة اغتربات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١- وجوه الخطر ..

الحميس : الأول من يونيو .. منتصف الليل تماما .. انطلق رجل اغتربات المصرى (فصحى عبد الحميد) ، يشق شوارع (باريس) بسيارته الصغيرة ، في طريقه إلى شقة الخاصة ، في حى متواضع من أحياء العاصمة الفرنسية ، وهو يشعر بإرهاق شديد ، بعد يوم حافل بالعمل .. وتنهّد في ارتياح ، حينما أوقف سيارته أمام البناية التى يقيم فيها ، وغادر السيارة ، وهو يثنى نفسه بنوم هادئ عميق .. ولكنه لم يكّد يصل إلى الطابق ، الذى يقيم فيه ، حتى توترت أعصابه فجأة ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يتطلع إلى المعجوز ، الأثيب الشعر ، اغتنى الظهور ، الذى يقف أمام مسكنه في هدوء ، وتحسنت يده مسلمة ، المخطى تحت مشرته ، في حركة شريرة ، وهو يسأل المعجوز بفرنسية سليمة :

— هل من خدمة ، يمكننى تقديمها لك يا ميسر ؟
اجسم المعجوز في هدوء ، وهز رأسه نفياً في ببطء ، وهو يقول :

— كلاً يا ولدي . شكراً لك . إننى أشرح قليلاً
 فحسب ، فأنا فى طريقى إلى الطابق الأرضى .
 رفقته (فتحى) نظرة متشككة ، وهو يقول :
 — ولماذا لم تسفل المصعد ؟
 لوح العجوز بكفه ، وهو يتصمم مفعماً :
 — حينما تبلغ عمرى ، ستجد أنه من الضرورى أن تبدل
 بعض الحركة يا ولدى ، وإلا تصلبت مفاصلك تماماً .
 ظل (فتحى) يتخذه نظرات المريبة لحظة ، ثم لم يلبث أن
 غصم :

— حسناً يا ميو . . . هل تحتاج إلى أية معاونة ؟

قال العجوز فى هدوء :

— كلاً يا ولدى . شكراً لك .

ثم اتجه فى هدوء إلى السلم ، ليكمل هبوطه البطيء ،
 على حين لم يرفع (فتحى) عينه عنه ، وهو يتجه إلى باب
 شقته ، ويدس مفتاحه فى ثقبه .

وفجأة . . . وما إن اكتمل دخول المفتاح فى ثقب الباب .
 حتى انطوى جسد (فتحى) فى قوة ، وجعلت عيناه فى
 ذهول . حينما سرى فى جسده تيار كهوى قوى ، جعل عروقه

كلها ترتجف ، وتصرخ ، وتنبس . . . وتوقف العجوز عن
 الهبوط ، وانصب ظهره الخشى ، ونالقت لى عينه نظرة
 شديدة الحيوية ، تتعارض تماماً مع تجاعيد وجهه الغائرة . وظل
 هادئاً ، يرقب ما يحدث لى برود ، حتى انطوى جسد
 (فتحى) انفاضة قوية أخيرة ، ثم سقط حنة هامدة . . .
 وهنا انتصبت قامة العجوز الزائف تماماً ، ودون أدنى
 انفعال لى ملاحظه ، سوى يريق ظفر لى عينه ، ويواصل هبوطه فى
 درجات السلم . . .

الجمعة : الثانى من يونيو . . الساعة والنصف مساءً . .

المهكم ضابط المخابرات المصرى (هشام عياد) فى
 مراجعة بعض التقارير الأمنية الهامة ، وهو يجلس فى حجرة
 مكتبه ، المظلل على مبدات (بيكاديللى) ، فى قلب العاصمة
 الإنجليزية (لندن) ، وفرك عينيه فى إرطاق ، وهو يصهم :
 — ياله من عمل ! ! ! والعجيب أن البعض يحدوتنا :
 لأننا نعمل فى (أوروبا) .

ورفع عينه عن التقارير ، وشرذ بصره لحظة ، وهو
 يستطرد :

— كم اشتاق إلى (مصر) —

تنهَّد في غمقى ، ثم عاد إلى مراجعة التقارير ، حينما قرع
جرس منزله ، فاعتدل في حركة حاذة ، وألقى نظرة سريعة
على ساعة يده ، ثم التقط مسدسه ، من درج المكتب ، واتجه
نحو باب المنزل في حذر ، وهو يقول بالإنجليزية لا يرق إلى
الشك .

— من بالباب ؟

قال هذا ، وهو يتطلع إلى زائره ، عزز عين سحرية في
متصف الباب ، ورأى أمامه شاباً أجبر الشعر ، كث
اللحية والشارب ، هادئ الملامح ، يرتدى رعى سعاة البريد ،
ويقول في إنجليزية سليمة :

— طردة خاص لستر (هشام) .

ألقى (هشام) مسدسه خلف ظهره ، وفتح الباب في
حذر ، وهو يسأل الشاب :

— من أرسله ؟

هز الشاب كتفيه في هدوء ، وقال :

— لست أدري . ولكن أظن أنه من (مصر) .

تناول (هشام) الطرد الصغير في حذر ، وشابه يده

التي تترى متحفرة للعمل ، فوق رناد مسدسه ، الذى مازال
يخفيه خلف ظهره ، ووضع الطرد على منصدة قريبة ، ثم وقع
بسلّمه ، ووقف يرقب ساعى البريد في حذر وتحقق ، حتى
استقل ذلك الأخير المضعد ، فأسرع (هشام) يعلق باب
منزله ، وألقى مسدسه جانباً ، ثم التقط الطرد في حذر بالغ ،
وراح يحمل الحيوط التي تحيط به ، في دقة وهدوء .

وفجأة .. دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، أطاح برجل انقاربات ، وقضى عليه في
لحظة واحدة ، وحطم زجاج نافذة الرذفة ، التي تطل
على الميدان الشهير ، فصرخ زواد المكان في دُغبر ، وأسرع
بعضهم نحو النهاية ، التي دوى فيها الانفجار .

وبالقرب من القنال الشهير ، الذى يتوسط الميدان ، وقف
ساعى البريد الزائف ، يتطلع إلى النافذة المخطمة في برود .
ومن عينية أطل نفس البريق الظاهر ، ثم اتجه في هدوء إلى واحدة
من سيارات الأجرة ، وقال لسائقها في برود :

— إلى مطار (هيثرو) .

تطلع إليه سائق سيارة الأجرة في دهشة ، ثم لم يلبث أنه هز

كفيه في اسلام . وانطلق بالسَّابرة ، إلى حيث طلب
العمل .

فالعمل دائما .. على حق ..

المبت : الثالث من يونيو .. السابعة صباحا ..

استيقظ رجل اخبارات المصري (وحدي منصور) من
نومه . على رنين متواصل لجرس باب الشقة ، فهتف من فراشه
في قلق ، واحتفظ مسدسه من أسفل الوسادة ، واندفع نحو
باب الشقة . وهو يسأل في ذهشة عن يكون ذلك الزائر .
الذي يدق جرس منزله على هذا النحو المزعج . في ذلك
الوقت المتأخر ، وقبل أن يسأل أي سؤال . يتطلع إلى الزائر
عبر العين السحرية الصغيرة ، وأدهشه أن يجد أمامه شابا
أسود الشعر . طويله ، له شارب رفيع . ولحية قصيرة ، جعلته
أشبه بفتان بدائي . وتساءل (وحدي) عن يكون ذلك
الشاب . فتمتد أسندت إليه اخبارات المصرية مهمة العمل في
(روما) . لم يلتق أبدا عن يشبه ذلك الشاب . ولم يلقه
اخبارات المصرية بوصول الزائر . أو زميل عمل في هذا اليوم .
وفجأة . وقبل أن يرفع (وحدي) عينه عن العين

السحرية . رأى فؤوه مستديرة تلتصق بها من الخارج . وأدرك
شعرة تلك الفؤوه على الفور . وحاول أن يستدل بسرعة .
ولكن رصاصة غادرة انطلقت عبر الفؤوه .
وعبر العين السحرية .

وعبر عينه . ومعه . وجهه .

وتفجرت دماء الموت من رأس (وحدي) العظيم .
وعوى الرجل حلة هائلة . وأعاد القتل البدائي مسدسه .
المرؤد بكاتم للصوت . إلى جيب ستروته . وبرقت عيناه بنفس
النظرة الظاهرة . ثم استدار في هدوء . وغادر البناية . ليذوب
وسط زحام (روما) .

المبت : الثالث من يونيو .. الثانية عشرة ظهرا ..

عبرت سيارة صغيرة بيضاء بؤابة مبنى الاخبارات العامة
المصرية . في منطقة (كوسرى القبة) في (القاهرة) .
واندفعت عبر الساحة الكبيرة في سرعة ومهارة . حتى توقفت
إلى جوار مجموعة من السيارات . من مختلف الأنواع
والطرازات . وهبط منها رجل وسيم . عثماني القوام . واضح
الحياة والنشاط . استقله حارس المبنى بأسماعه . وهو يقول
في احترام بالغ :

— مرحبًا يا سيادة المقدم .. إن سيادة اللواء المدير يتفكر
في مكتبه .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يعبر باب المبنى في حيوية :
قائلًا :

— شكرًا يا (هادي) .. أعلم ذلك .

وتجاهل — كعادته — ذلك المصنعد المقابل للباب ،
وراح يقفز فوق درجات السلم إلى الطابق الثاني ، حيث
حجرة مدير اخبارات العامة المصرية ، فخرج بابها في هدوء ،
وانتظر حتى سمع صوت المدير يقول في لفظة :

— ادخل يا (ن - ١) .

دفع (أدهم) باب الحجرة في رفق ، وخطا إلى الداخل ،
وهو يتصم قائلًا :

— مرحبًا يا سيدي .. سمعت أنك تطلب رؤيتي ..

لم يتصم مدير اخبارات ، بل بدا مهمومًا ، مُعْتَظًا ، وهو
يقول في صرامة :

— أخلق الباب خلفك ، وتعال إلى هنا يا (ن - ١) .

أغلق (أدهم صبرى) الباب ، واتجه نحو مكتب مدير
اخبارات ، وجلس قُبائله ، وهو يقول في احتمام :



وتفكرت دماء الموت من رأس (هادي)
الخطم ، وهوى الرجل خبطة هامة .

— هل الأمر بالغ الخطورة ، إلى هذا الحد ؟
دفع مدير المخابرات أمامه ثلاث صور فوتوجرافية ، وهو
يقول :

— لو أن مصرع هؤلاء الثلاثة بالغ الخطورة ، فالأمر
كذلك .

حدّق (أدهم) في صور (فخحي) و (هشام) و (وجدي) في
دهشة ، ثم هتف في استنكار :

— مصرعهم ؟

أوماً مدير المخابرات برأسه إيماناً ، وهو يقول في ضيق :
— نعم يا (ن — ١) .. لقد لقى ثلاثة من أفضل رجالنا
مصرعهم ، في ثلاثة أيام متتالية ، آخرها السابعة صباح اليوم ،
بتوقيت (روما) ، ويؤكد خبراءنا أن مرتكب الحوادث
الثلاث شخص واحد ، على الرغم من اختلاف مظهره ، في
كل حالة .. فهو في (باريس) رجل عجوز ، أشيب الشعر ،
محنّي الظهر ، وفي (لندن) ساعى يريد أحر الشعر ، كث
اللحية والشارب ، وفي (روما) فتان هجئي ، طويل الشعر ،
أسوده ، له لحية قصيرة وشارب رفيع .
وعست المدير لحظة ، قبل أن يستطرد في بقاء :

— ولقد تحدّث الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية في
مهاراة وبراعة بالعين .

عقد (أدهم) حاجيه ، وهو يقول :

— من أبلغكم بكل هذه التفاصيل يا سيدي ؟

لوح مدير المخابرات بكفه ، وهو يقول :

— إنها أقوال الشهود ، وهي مدوّنة في محاضر الشرطة
الرسمية ، في (باريس) و (لندن) ، و (روما) ، ولقد
تأكّدنا من صحتها .

تخفّرت حواس (أدهم) كلها للصراع ، وهو يقول :

— أهنّاك خيط يمكن تعقّبهُ إلى القاتل يا سيدي ؟

مطّ مدير المخابرات شفيه ، وهو يفهم :

— كلا .

إزداد اعتقاد حاجي (أدهم) في غضب ، وهو يقول :

— ولكننا لن نسمح له بالإفلات .

أوماً مدير المخابرات برأسه موافقاً ، وتنهد في غمق ، قبل
أن يقول :

— الخيط الوحيد ، الذي يمسك به خبراءنا ، هو نظرية
السّبع المنطقيّ يا (ن — ١) ، ومن خلالها توصلوا إلى

أن (الموساد) قد كشف — بوسيلة ما — أسماء وعناوين رجالنا في (أوروبا) ، وهو يعمل على تصفيتهم ، واحداً بعد الآخر ، تبعاً لترتيبهم في القائمة .. وهذا يعني أن الضحية التالية هي (سعيد جبر) ، رجلنا في (سويسرا) ، وبعده يأتي دور (صالح رياض) .. رجلنا في (برلين) .
قال (أدهم) في غنى :

— ينبغي إنذار الرجلين ياسيدى .

أوماً عذير اغتبارات برأسه إيجاباً ، وقال :

— لقد فعلنا يا (ن — ١) ، وطلبناهما بالعودة إلى هنا فوراً ، حيث تبدأ مهمتك .

نهض (أدهم) في حزم ، واكتسى صوته بصرامة مخيفة ، وهو يقول :

— المهم أن تبدأ في اللحظة المناسبة ياسيدى .. قبل أن نخسر كل شيء ، وقبل أن يزعجنا ذلك القاتل ، ذو الألف وجه .

٢ — رحلة الموت ..

البيت : الثالث من يوليو .. الثانية والنصف عصرًا ..
استرخت النقيب (منى توفيق) في مقعدها ، داخل الطائرة المتجهة من (القاهرة) إلى (برلين) ، وأبست جفنها ، وهي تسأل (أدهم) ، الخالس إلى جوارها ، في هدوء :

— هل لي أن أعلم لماذا لم تنحس إلى (برن) ، في حين أنها — بحسب تقدير الخبراء — الموقع المحتمل للضربة القادمة ؟
أجابها في هدوء ، ودون أن يلتفت إليها :

— لأنه من المحتمل أن تصل إليها بعد انتهاء الضربة القادمة ، وفي الوقت الذي يستحيل معه منع الضربة الخامسة .
عقدت حاجبها ، وهي تسأل في اهتمام :

— ألم تقل إن الإدارة قد طلبت من رجلينا ، في (برن) ، و (برلين) العودة فوراً ؟

أوماً برأسه إيجاباً ، قيل أن يقول :

— هذا صحيح ، ولكننا لا نعلم بعد طبيعة صاحب الألف

وجه ، زُبْما كان يتشع (سعيد جبر) الآن ، وهو يحاول معاودة
(برون) .

سألته في اهتمام :

— ألا يعلمون بعد من هو ذلك القاتل ؟

شرد بصره لحظة ، عادت فيها ذاكرته إلى شهر مضى ..
إلى أحداث دامية رهبة ، وسط تلوج مشتعلة خيفة ، وغضب
في هدوء :

— إنه شخص قوى ، جـسـور ، لا قلب له ، خبير في
التكر ، ويعيد عدة لغات حية في طلاقة مذهشة ، بالإضافة إلى
مهارة فائقة في أساليب القتل ، والدفاع عن النفس ، وبراعة
مدعلة في إطلاق النار ، حتى أنه لا يخطئ إصابة هدفه
أبداً .

ولفت حاجبها في دهشة ، وهي تقول :

— لولا إشارتك إلى مهارته في القتل ، وقتلوك : إنه
لا قلب له ، لتصورت أنك تصدّدت عن نفسك .
هز رأسه نفياً في هدوء ، وقال في بقاء ، وهو يضبط
حروف كلماته :

— كلاً يا عزيزي . إنه أقوى رجال (الموساد)
(موسى) . (موسى ذورائيلي)^{١٥٠}

(موسى حاييم ذورائيلي) : لقد قُتلت هزيمة
(أدوم صيرى) في (إلسير) ..^{١٥١}

دوّت هذه العبارة في ذاكرة (موسى ذورائيلي) ، رجل
(الموساد) رقم (واحد) ، وهو يستند في هدوء إلى أحد
تلك الأعمدة الرخامية ، التي تملأ مطار (برون) ، وحامره
شعور بالحس والحسب . على الرغم من ملامحه الحامدة ،
وهو يسترجع تفاصيل قتاله مع (أدوم صيرى) ، في
(إلسير) . تلك الجزيرة الكندية النائية ، التي شهدت
ميلاد ومصرع محزون ، أراد أن يحقق حلماً قشياً كان من قبله في
تحقيقه ، ألا وهو السيطرة على العالم .

لقد كانت مهمة (موسى) هي التخلص من
(أدوم صيرى) . ولكنه وجد أن الخطر في (إلسير)
لا يهدد دولة (أدوم صيرى) وحدها ، وإنما يهدد العالم

(١٥٠) راجع قصة (الحبل المشتعل) - المعامرة رقم (٦٥)

كله ، بما في ذلك دولته ، وبدلاً من أن يقتل (أدهم) ، انضم
إليه ، وقاتل إلى جواره ، لإنقاذ دولته أولاً ، والعالم ثانياً ..

وانتهت المهمة بالظفر ..
فشلت لحظة السيطرة على العالم ، والتي ديكتاتور
جديد ، قبل أن يبدأ عهده ..

لقد نجح (أدهم صبرى) و (موسى دزرائيل) في إنقاذ
العالم ..

ولكن رأى رؤساء (موسى) كان يختلف ..
لقد رأوا أنه لم يفر ، وإنما فشل ..

لقد استعدّ لقتل (أدهم صبرى) ، بعد أن تم إنقاذ
العالم ، ولكن (أدهم) لم يسمح له ، وباعته ، وهزمه ،
والتصر ..

أما هو .. (موسى دزرائيل) .. فقد فشل ..
فشل لأول مرة في حياته ..

فشل ، لأن خصمه كان (أدهم صبرى) ..
لقد أصبح ذلك الاسم الآن ينعى له الكثير ..

لقد أصبح هو الفيصل بين النجاح والفشل في حياته ..
وهو يكره الفشل ..

أفاق من أفكاره وذكرياته بقعة ، حيناً وقع بصره على
(سعيد جبر) ، رجل اختراعات المصرية لى (برن) ، وهو
يتجه في خطوات سريعة إلى زخمة السفر بالمطار ، وعلى الرغم
من أن كل عضلة من عضلات (موسى) قد تحفرت للعمل ،
إلا أن ملاحظته ظلت حاضرة كعادته ، وهو يقادر موقعه ، ويتجه
نحو (سعيد) ..

وثقت (سعيد) حوله في خدر ، وهو يتأكد من وجود
جواز سفره ، وتذكرته ، وشعر ببعض الاطمئنان ، حيناً لم يجد
حوله سوى رجل وقور ، في أواخر العقد السادس من العمر ،
وسيدة عجوز ، وطفل لا يتعدى العاشرة من عمره ،
ولكنه .. وقبل أن يرفع يده عن جيب سترته ، حيث يرقط
جواز سفره ، وتستقر تذكيرته ، اصطدم به الرجل الوقور في
حركة يذت عفوية ، واعتذر له باللغة العربية ، ولهجة مصرية
خالصة ، وهو يقول :

— معذرة ياسيدى .. لقد تعثرت ..

ابسم (سعيد) ، وهو يقول :

— لا عليك ياسيدى .. أنت مصرى مثلى .. اليس كذلك ؟

تجسدت أطراف (سعيد) لحظة ، وتفجّر عرق بارد في

حيه ، حينئذ من الرجل قوة مسلّسة في جنبه ، وهو يقول في
سجريه . وبلغه عبرته واضحة .
— كلاً . ليس كذلك

كان ذلك الرجل الوقور هو (موسى دزرائيل) ، في وجه
حديد ، وكانت سيايته تستعد لاغتصار زناد مسلّسه ،
وانتزع روح رجل اخبارات المصريّ رقم (أربعة) .
ولكن (سعيد) تحرك في سرعة ، فمال جانباً ، وفقر إلى
الوراء ، وامتدت يده في سرعة إلى مسلّسه ، وانزعه من جيب
سترته بحركة حاذة . إلا أن رصاصة مسلّس (موسى) انطلقت
في هدوء وسكون ، غير القوة المؤودة بكسائم اللصوص ،
وأصاب مسلّس (سعيد) . فأفلت من يده ، وطار بعيداً .
ووجد (سعيد) نفسه أسير ، أمام قاتل محترف ، لا يشق له
غبار ، فدار على عقبيه ، وانطلق يغدو مبتعداً . ولكن (موسى)
استدار إليه في هدوء ، وصوب قوة مسلّسه إلى رأسه ، ثم
أطلق النار .

وحافظ (موسى) على شهرته . فهو حتى هذه اللحظة لم
تخطئ إصابعه هدوه أبداً .

الأحد : الرابع من يوليو . الساعة صباحاً

(برلين الغربية) . الخطة الأخيرة في مهمة (سمير) (البلي)

رجل اخبارات المصريّ (صالح رياض) . هو الأخير في
القائمة .

وتعلّقت عيناً (موسى) بحسد (صالح) . الذي يبدو
واضحاً ، من خلف نافذة حجرته . في تلك البناية الأنيقة .
المطلّة على واحد من أشهر وأكبر شوارع (برلين الغربية) .
وظلّت ملاحه جامدة باردة ، على الرغم من ذلك الانفعال
القويّ . الذي تخيش به نفسه .

لقد أصرّ إصراراً شديداً ، على أن يتولّى عملية التخلص من
رجال اخبارات المصرية الخمسة نفسه . على الرغم من معرفته
بكل ما يستحثه من غناء ، في سبيل ذلك ، وبضرورة انتقاله من
دولة إلى أخرى ، على مدار أربعة أيام فحسب . ولكنه كان يريد
إثبات تفوّقه ، وقدرته على العمل والأداء . بعد أن تلقى أوّل
مزاياه . طوال حياته العبدية . على يد (أدهم صبرى) .

والقضاء على (صالح رياض) بعد بمثابة التوقيع . على
شهادة نجاحه وتفوّقه .

وفي هدوء ، اتجه (موسى) نحو البناية ، التي يقم فيها
(صالح) . واستقلّ المصعد إلى الطابق الرابع . حيث يقطن
(صالح) . ودقّ باب شقة هذا الأخير في هدوء . وهو واثق من
براعة تنكره ، وحسن أدائه . وسيطرته على كل الأحداث .

ومضت فترة من الصمت ، قبل أن يسمع صوت (صالح) ،
الذى يحفظه عن ظهر قلب ، وهو يسأل من خلف الباب
— من الطارق ؟

سعل متظاهرا بالإصابة ببرد شديد ، وهو يقول في صوت
متحرج

— إنه آلا .. (نادر)

كان والفا من أنه يحمل وجه (نادر توفيق) ، صديق
(صالح) ، وزميله في إدارة المخابرات العامة ، فهو أستاذ في
فن التكبر ، وانتحال الشخصيات

الشيء الوحيد الذى يفكر إليه ، في هذا الفن ، هو الخسرة
المبررة ، لذلك سعل ، وتعمد أن يبدو صوته متحرجا ، حتى
لا يشبه (صالح) إلى قاري نبرات الصوت ، به وبين (نادر) ،
ومضت خبطة أخرى من الصمت ، أيقن (موسى) خلالها
أن (صالح) يتأكد من شخصيته ، غير العين السحرية ، التى
تتوسط الباب ، ثم فتح الباب ، ورأى (موسى) على عتبة
(صالح) ، وهو يسأله في لهفة وفلق :

— لماذا أتيت في مثل هذه الساعة ؟ هل من جديد ؟

سعل (موسى) مرة أخرى ، وهو يقول :
— بالتأكيد

امسح له (صالح) الطريق ، فخطا إلى داخل الشقة ،
وانتظر حتى أغلق (صالح) الباب ، واستدار يسأله في قلق :
— ماذا حدث ؟

دس (موسى) كفه في جيب معطفه ، وأحاط مقبض
مسدسه بأصابعه في قوة ، وهو يقول في هدوء :
— لقد قتلوا (سعيد جبر) .

عقد (صالح) حاجبه ، وهو يقول :

— أتيت لتخبرني بذلك فقط ؟ إننى أعلم بالطبع . لقد
أبلغوني هاتفيا مساء أمس .

استعاد (موسى) صوته الحقيقى ، وهو يقول في برود :
— ليس هذا هو السبب الوحيد لحضورى .

ازداد انعقاد حاجبى (صالح) ، وهو يقول في حدة :
— ما هذا ؟ لماذا تبدل صوتك هكذا ؟

أخرج (موسى) مسدسه ، من جيب معطفه ، في سرعة ،
وصوب فوهته نحو صدر (صالح) ، وهو يقول :
— لأننى لست (نادر توفيق) ، ولا يمكن أن أنسى يوما
للمخابرات المصرية .

كان (موسى) من ذلك النوع ، الذى يضع في اعتباره
دوما كل الاحتمالات والظروف ، فقد كان يتوقع أن يتراجع
(صالح) في ذهشة وذعر ..



وفي هدوء .. نزع الرجل قناعا مطاطيا وفقا
عن وجهه ، فبدت ملامحه الوسيمة القويّة .

أو بهار .

أو بفالك نفسه في سرعة . وبياحه

ولكنه لم يتوقع أبدا ما حدث بالفعل

لقد ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (صالح
رياض) . واتسعت . ثم لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة ساخرة
عالية . تفجرت لها ذهشة قوية غامرة في أعماق (موسى) .
على الرغم من أن ملامحه ظلت جامدة باردة
ولهاجة . فبدت ملامحه برودها وجودها . وعلتها مسحة
من الذهشة الحقيقية . حينما انقلب صوت (صالح) رأسا على
عقب ، وحل محله صوت ساحر مستغفر . لم يسي (موسى)
نبراته القويّة بعد .

صوت يقول في همهم لا ذع مخيف :

— وماذا في ذلك ؟! أنا أيضا لست (صالح رياض) .

وفي هدوء .. نزع الرجل قناعا مطاطيا وفقا عن وجهه .
فبدت ملامحه الوسيمة القويّة . وهو يستطرد بنفس اللهجة
الساخرة :

— إن اسمي هو (أدهم) . (أدهم صبرى)

٣ - المواجهة ..

ارتجف كل عرق من عروق (موسى) ، وانفض انفاضة غاصبة حانقة ، ولكن ملامحه التي قُذت من صخر صُلب ظَلَّت جامدة ، باردة ، وهو يتطلع إلى وجه (أدهم) ، وابسامته الساخرة ، واشتدت قبضته اليمنى على مسدسه ، المصوب إلى صدر (أدهم) ، على حين نزعته أصابعه اليمنى عن وجهه ذلك القناع ، الشيء بقناع (أدهم) ، والذي يحمل وجه (نادر) ، فبدت من تحته ملامحه الحقيقية ، وهو يلقي القناع بعيدا .

ووقف شيطاننا المخابرات ، كُتْل في مواجهة الآخر ، في صمت وهذوء ، ثم كان صوت (أدهم صبرى) هو أول ما حطم حاجز الصمت ، وهو يقول في سحرية :
— هل أدركت الآن أن التَّكْرُّرَ من عيسى باعزيزى (موسى) ؟ .. إنه لا يحمى على ملامح الوجه فحسب ، وإنما على التَّمَيُّض الكامل لشخصية من تتحلل وجهه ، وهذا يعني

أن تحدث بصوته ، وتأتى بكل حركاته وخطباته .. وهذا ليس بالأمر الهين باعزيزى رجل (الموساد) الأول ، فالبراعة في هذا الفن تحتاج إلى رجل : هو مزج من الرشام ، والنخات ، والمكمل ، والمخاوي أيضا .
قال (موسى) في برود : سَلَّمْتُ إليه — على الرغم منه — ثرة غاصة :

— وهل تتصور أنك هذا الرجل ؟
مز (أدهم) كفيه في استنار ، وهو يقول :
— إلى حد ما .

ثم استعاد لهجة الساخرة ، وهو يستطرد :
— أمّا أنت ، فتحتاج إلى المزيد من المران والحيرة في هذا المضمار ، فلقد عجزت عن تقليد صوت (نادر) ، واحتلت على ذلك بخدعة قديمة سقيمة ، فجنى مع مُعَالَك ، وصوتك المتعشج ، كان تَكْرُك واضحا .. بالنسبة لي على الأقل .
عاد الصمت بلفهما برداء ثقل يضع لحظات ، ثم قال (موسى) في برود :
— سأحاول استيعاب ذلك الدرس .

لروح (أدهم) بكفه في هدوء ، وهو يقول :

— هناك العديد من الدروس ، التي ينبغي لك استيعابها يا عزيزي (موشي) ، فلقد استغرقت مهمتك وقتاً طويلاً ، حتى أنك منحتنا فرصة كافية ، لإنقاذ الفريسة الخامسة ، وفهم أسلوبك في العمل .

رفع (موشي) قُوَّةه مسلَّسه ، نحو رأس (أدهم) ، وهو يقول :

— هل تعلم كم يكلفني التخلص منك ، ومن ثورتك يا رجل الخبايا المصرية ؟ .. إن هذا لن يجثني أكثر من ضغطة واحدة على إرئاد مسلَّسي ، فأنت ، وإن لم تكن قد لاحظت ذلك ، أعزل تماماً .

أشار (أدهم) إلى مسلَّس (موشي) في استخفاف ، وهو يقول في سخرية :

— هل تنسى أن ذلك المسلَّس ، يجعلك أكثر تقوُّفاً ؟

أجابه (موشي) في برود :

— بالتأكيد .

وفجأة .. وقبل أن تكتمل حروف كلمة (موشي) ، تحرَّكت قدم (أدهم) ، في خِفة ومرونة فائقتين ، ودُكَّت

مسلَّس (موشي) ، فأطاحت به بعيداً ، ثم عادت إلى جوار شقيقتها ، قبل أن يقول (أدهم) في سخرية :

— حسناً .. هذا يجعلنا متعادلين .. أليس كذلك ؟

عقد (موشي) حاجبيه في نظرة غضب ، لم تستغرق سوى ثانية واحدة ، عادت بعدها ملامحه إلى جودها ، وهو يتزعزع معطفه وسترته ، ويلقيهما بعيداً ، ثم يقول في هدوء :

— لا بأس يا رجل الخبايا المصرية ، إنني أفضل عزيمتك بالأيدي العارية .

الحني (أدهم) أمامه ، كما تقتضي تقاليد القتال اليابانية ، والحني (موشي) بدوَّره ، ثم انتصبت قامتاها وارتفعت قبضاتهما ، وأطلق كل منهما صرخة القتالية .. واشتبك شيطان الخبايا .

كان يمكن أن نكتفي بقولنا : إن القتال كان رهيباً ، وإن الصراع كان مثيراً .. ولكن كلا ..

إن قتالاً من هذا النوع ، بين اثنين من أقوى رجال الخبايا في العالم أجمع ، ليسحق أن يسجل كل خطوة ، وكل حركة فيه ..

إنه أشبه بمنزج من بطولة دولة للشطرنج ، وصراع
أرمي ، للفوز باليدالية الذهبية في فنون الدفاع عن النفس ،
وتواشق ثوان مكلف ، بين اثنين من أقوى الجيوش ..
إنه — باختصار — لحظة نادرة ..

لقد كان (موسى) هو أول من انقض ، فانحنى نصفه
العلوي إلى الخلف ، وارتفعت قدمه اليسرى — في حركة
نصف دائرية — هدفها وجه (أدهم) ، الذي مال يساراً في
خفة ، وتلقى قدم (موسى) على ساعده اليمنى ، ثم غاص إلى
أسفل ، ولكم (موسى) في معدته لكمة قوية ، فانحنى هذا
الأخير إلى الأمام ، وبدا وكأنه يتأثر ، إلا أنه استكمل التحناته
في مرونة مذهشة ، وانقلب على ظهره ، ثم دفع قدميه في صدر
(أدهم) ، الذي شعر وكأن حائطاً من الصلب قد ارتطم
بصلوعه ، ودفعه إلى الخلف ..

وفي رشاقة رائعة : قفز (موسى) واقفاً على قدميه ،
وسدد بقبضته لكمة قوية ، إلى فك (أدهم) ، ولكن هذا
الأخير مال برأسه يميناً ، وتفادى اللكمة ، ثم لى ركبتيه حتى
لامسا صدره ، وقفز ككرة من المطاط ، وهو يفر ذساقه عن
آخرها ، ويدفعهما في صدر (موسى) كالقنبلة ..

واندفع (موسى) إلى الخلف ، ما يقرب من المترين ،
وسقط على ظهره .. ولكنه لم يكذب الأرض ، حتى أكمل
دورته إلى الخلف ، وقفز واقفاً على قدميه مرة أخرى ، وتفادى
لكمة ساحقة من قبضة (أدهم) اليسرى ، ودار على عقبيه ،
وألقى جسده أرضاً ، ليعتمد برأيه على أرضية الخبيرة ، ثم
يدفع قدميه إلى أعلى ، لترتطم بوجه (أدهم) ، ثم عاد يحذل
واقفاً ، ويدور لمواجهته مرة أخرى ..

واتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
— ضرباتك لا بأس بها ، ولكنها ما زالت بطيئة ، وتحتاج
إلى مزيد من القوة ..

أجاب (موسى) في برود :
— حسناً .. سأنقش كلماتك الأخيرة هذه ، على شاهد
قبرك ..

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :
— لو أنك تقصد أنك ستهديه إلى ، لأحفظ به
للدكري ، فلا بأس ، فلنا أظن أنك لن تقف أمام شاهد قبري
أبداً يا عزيزي (موسى) ، فالأرواح الضالة لا يُسمح لها
بمحادثة الجحيم ، بعد أن تلقى في أسفل دُرك فيه ..

أجاب (موسى) في برود :

— هل ستقاتل ، أم أنك كنت تعلم بلعب دور البطولة .

في مسرحية هزلية ؟

انضم (أدهم) مرة أخرى في سحرية ، وقال :

— بل ستقاتل يا عزيزي (موسى) ، فلن أجد أبدا نصاً

هزلياً ، أفضل مما تلعبه الآن .

انطلقت مرة أخرى صرخاتهما القتالية ، وعاد كل منهما

ينقض على خصمه .

وفي هذه المرة ، أدرك (موسى) أن (أدهم) كان يعاتبه

حقاً ، حينما كان يقاتله منذ لحظات .

لقد أطلق (رجل المستحيل) — في هذه المرة — كل

طاقاته القتالية الكامنة ، في وجه خصمه .

لقد بدأ (موسى) القتال ، هذه المرة أيضاً .

بدأه بلكمة قوية ، وجهها إلى فك (أدهم) ، ولكن هذا

الأخير تحول فجأة إلى كتلة من المرونة ، والرشاقة ، والخفة ،

والقوة .

لقد انحنى ، ومال ، ودار حول نفسه ، وفقر .

كل هذا بدأ لـ (موسى) وكأنه قد حدث في لحظة واحدة .

حتى أنه فوجئ بقدمي (أدهم) تحيطان بعنقه ، ورأى هذا

الأخير يسقط بظهوره أرضاً ، ثم يجذبه من عنقه يساقبه ، ويرفعه

في الهواء ، ثم يلتقي به خلفه ، ليرتطم بالخائط في قوة ، ثم يسقط

على أم رأسه .

ودارت الأرض أمام عيني (موسى) ، وأحاطت بهما

غشاوة زمادية ، يحالطها لون أحمر ، وحاول أن يتنفس في

سرعة ، ولكن ركلة قوية من قدم (أدهم) ، جعلت رأسه

يرتطم مرة أخرى بالخائط ، فيتصاعف الدوار ، وترداد

الغشاوة .

وتراجع (أدهم) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو

يقول في سحرية :

— هل استوعبت الدرس الثاني يا (موسى دزرائيل) ؟

حاول (موسى) أن يتكلم ، وأن يسخر من (أدهم) ،

مظنماً يسخر هذا الأخير منه ، ولكن مرارة المزجة في حلقة

حققت كلماته ، فلاذ بالصمت لحظة ، ثم فجأة لبس قلبه في

عنف ، حينما تعلقت عيناه بمنسأسه ، التلقى على قيد خطوة

واحدة منه ، فاستعادت عضلاته مرونتها ، مع غزوة الأمل

بالظفر إلى صدره ، وتحركت يده في سرعة وخفة ، فالتقطت

المسلس . ورفعه إلى صدر (أدهم) . وهو يتلف في صوت
متحرج :

— كلاً يا رجل الظاهرات المصرية ، إننى أرفض استيعاب
دروسك السخيفة . ولكن لحد أنت متى هذا الدرس
الأخير .. لا تحصل أبداً بالفوز . قبل أن يلفظ خصك أنفاسه
الأخيرة .

عقد (أدهم) حاجيه ، وهو يقول :

— هل يُروق لك أن تنصّر بهذه الوسيلة الخفية ؟

أجاب (موسى) في برود :

— سأهدى إليك درسين جديدين أيها الرجل .. أولهما :

أن تبحث دوماً عن النصر ، بغض النظر عن الوسيلة .. أما
الثاني فهو

تدققت كراهيته مع حروف كلماته ، وهو يستطرد :

— إن (موسى ذرأيلي) لم يخطئ إصابة هدفه قط .

ودوى صوت طلق ناراً أصاب هدفه ..

٤ — الدرس ..

امتزج دوى الرصاصة بصحكة غاية في السخيرة والتهكم ،
انطلقت من بين شفطي (أدهم) ، وشبهة تجمع ما بين
الدعشة والألم ، ففزت من حلق (موسى) ، بعد أن أصابت
الرصاصة مسلسلة ، وعادت تلقى به بعيداً ، والفتت عيناه إلى
باب حجرة جالية ، حيث وقفت (منى) حاملة مسلسلة
الصغير في قبضتها ، ومبتسمة في سخيرة ، وهي تقول :

— درس جديد أيها المتحذلق الموسادى .. لا لولى كل
اهتمامك إلى الخصم ، الذى يقف في مواجهتك فقط ، فقد تأتى
المزجة من خلفك .

ظل وجه (موسى) جامداً ، لا يشئ بكل الانفعالات التى
تضجر في أعماقه ، ثم نهض في بطة ، ونفض عن قميصه غباراً
وهياً . وهو يقول في هدوء :

— أهو الدرس الأخير ؟

أجاب (أدهم) في هدوء مماثل :

— نعم .. إنه كذلك .
 عقد (موشى) ساعديه أمام صدره ، وواجه (منى) ،
 وهو يقول :
 — هيا إذن .. ضغطة واحدة على الزناد فتحكما النصر .
 قالت (منى) فى برود ، وهي تحذب إبره ملابسها :
 — بكل سرور .
 زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :
 — كلاً يا (موشى) .. إذا كان هذا أسلوبكم لـ
 (المرساد) ، فنحن نختلف .
 التفت إليه (موشى) ، وخدجته بنظرة باردة ، وهو
 يقول :
 — لا نحاول إقناعي بأنكما لانتويان فعل
 شملت (منى) فى صرامة :
 — ومن قال لك إن ؟
 قاطعها (أدهم) ، وهو يقول لـ (موشى) فى حزم :
 — هذا صحيح يا (موشى) .. إننا لانتوي قتلك
 اتصت عينا (منى) فى دهشة ، وصاحت فى استنكار
 غاصب :



والثقت عينا إلى باب حجرة جاسية ، حيث وقعت (منى) حاملة
 ملابسها الصغير فى البعثا ، ومتمسة فى سحرية ..

— ماذا نقول يا (أدهم) ؟ لقد قتل هذا العبد أربعة من
خيرة رجالنا ، وهو يستحق القتل بلا رحمة ، ولو أنه هو الذي
يحمل السلاح في مواجهتنا ، ما تردّد في قتلنا و
قاطعها (أدهم) مرة أخرى في صرامة :
— فلتترك هذا الأسلوب لهم ، وللقطة والسفاحين
ورجال العصابات .. إني لن أقتل رجلاً أعزل .
صاحت في غضب :
— سأقتله أنا إذن .
هتف (أدهم) في صرامة :
— قلت كلّاً .
لم يلتفت إلى (موشى) ، واستطرد في حزم :
— هذا درس جديد لك يا رجل (الموساد) .. العفو عند
المقدرة .. قد لا تسوّغ ذلك الدرس في سهولة ، ولكنى
أؤمن به تماماً .. لقد فشلت في هذه المهمة .. غداً إلى بلادك ،
ولتُحقّق الدماء هذه المرة .
تطلّع إليه (موشى) في خيرة ، وعقدت (منى) حاجبها في
غضب ، ثم قال الأول في برود ، وهو يلتقط سترته ومعطفه :
— سيفلتك أسلوب الفرسان هذا يوماً يا رجل الخبايرات
المصرية .

غمغم (أدهم) في هدوء :
— لن يؤسفى ذلك حينذاك .
ارتدى (موشى) سترته ومعطفه في هدوء ، وهو يقول :
— هل تظن أننى سأرحل ، قبل أن أقتلك ؟
أجاب (أدهم) في صوت هادئ :
— كلّاً .. أعلم أنك ستبدل المسجل لفعل .
ثم تحوّل صوته الهادئ إلى نهر من الصرامة ، وهو
يستطرد :
— ولكن حذار أن تلتقى في المرة القادمة ، وأنت تحمل
سلاحاً ، فحينئذ لن أتردّد في أن أقتلك .
رمقه (موشى) بنظرة باردة ، ثم اتجه نحو باب الشقة ،
وفتحه ، ثم استدار إليه قائلاً :
— سأذكّر هذا الدرس بالذات يا (أدهم صبرى) .
سأذكّره جيّداً .
ثم غادر الشقة ، وأغلق بابها خلفه في هدوء .
* * *
كان ينبغي أن تقتله ..
هكذا صاحت (منى) في غضب ، وهي تجلس إلى جوار

(أدهم) ، الذى انطلق بسيارته نحو السفارة المصرية و
(برلين) ، فأجابه فى هدوء :

— لن أكرر شرح وجهة نظرى ، إزاء موقفك هذا أيتها
القيس :

احتفظا استخداما لرتبتها الرسمية فى حديثه ، فقالت فى
غضب :

— كما تشاء أيها المقدم .. أنت الرئيس هنا ..

ضحك فجأة فى مرح ، وهو يقول :

— تبدين أكثر طرافة ، حينما تفتنين ..

غمضت فى حدة :

— وأنت تبدو أكثر سخافة ، حينما تتعامل رسميًا ..

ثم استدركت فى خفق :

— يا سيادة المقدم ..

أطلق ضحكة أخرى مرحة ، ثم قال :

— لا بأس أيتها القيس .. أين تحبين أن أدعوك لتناول طعام

العشاء ؟

غمضت فى برود :

— ينبغي أن أعلم أولاً .. هل سندهب بالزنى الرسمى ؟

أوقف سيارته أمام مبنى السفارة المصرية ، وهو يقول
صاحكًا :

— لست أدرى .. إننى لم أزل من قبل فى الزنى الرسمى ..

ورقى صوته ، واحتلط بلهجة عاطفية حالية ، وهو يستطرد :

— لاشك أنك متدين فائتة ..

خفق قلبها فى عنف ، وتصرَّح وجهها بخمرة الخجل ،

وهى تعلم :

— أهو غزل رسمى .. يا سيادة المقدم ؟

مال نحوها ، وهمس فى أذنها فى رقة :

— بل همسة حب ، أيتها القيس ..

ابتسمت .. وبدت ابتسامتها رائعة ، وسط ذلك اللون

الوردى ، الذى صبغ بشرتها ، وهى تغادر معه السيارة ،

ويصيران معًا بؤابة مبنى السفارة المصرية ..

ولكن للأسف .. تلك اللوحة العاطفية الرائعة لم تكتمل ..

لقد شوَّهتها عينا (موسى) ، الذى كان يرقب ما يحدث

من بعيد ، وهو يغمغم فى هدوء :

— كما توقعت .. سيلفان السخيف بانتهاء المهمة ، ولفًا

للشقاليد ..

ثم استدار ، وانجه في هدوء إلى مكتب صغير من مكاتب
الخاص ، وقال للعاملة في ألمانية سليمة للغاية :

— أريد لإرسال (تلكس) عاجل .. إلى (تل أبيب) ..
وسانتظر ورود الرد .

استعدت العاملة لإرسال ما يطلب ، على حين استطردها
في هدوء :

— أرسل ما سأملكه عليك .. لقد وصلت السمكة الكبيرة
إلى مصب النهر ، وسيتم اصطيادها ، قبل أن يفاديه ..
التوقيع (م . ج . د)

التحتم رجل طويل نحيل ، ذو أنف أجدهع ، حجرة مدير
جهاز المخابرات . المعروف باسم (الموساد) ، ووضع أمامه
ذلك (التلكس) ، الذي أرسله (موسى) ، وهو يقول في
انفعال :

— لقد تلقينا هذا الآن يا سيدي .

قرأ مدير (الموساد) (التلكس) في اهتمام ، ثم لم يلبث أن
حذف في انفعال :

— السمكة الكبيرة ١٣ . إنه يقصد ذلك الشيطان

(أدهم صبري) .. لقد كنت أتوقع أنهم سيرسلونه في هذه
العملية .

قال الطويل في ضجة أقرب إلى اللهايات :

— يبدو أنه قد أخطأ الجزء الأخير من العملية بالفعل
يا سيدي ، (موسى) لم يرسل اللفظ المتفق عليه ، الذي
يجب أن يحل الجزء الخاص بـ (برلين)

ضرب مدير (الموساد) سطح مكتبه بقضبه في حدة ، وهو
يقول في غضب :

— هذا ما يحدث دوماً ، ما إن يدس ذلك الشيطان أنفه في
إحدى عملياتنا ، حتى يفسدها تماماً .

ثم تألقت عيناه ، وهو يستطرده :

— ولكنها فرصة مثالية للتخلص منه ، ومن كل المتاعب
التي يجلبها وجوده ، فلا ريب أن أعصابه قد استرخت الآن ،
وهو يظن أن العملية قد انتهت .

سأله الطويل في انفعال :

— هل تأمر (موسى) بتصفيته ؟

هز مدير (الموساد) رأسه نقياً في نطه ، وحلّقه ذقنه
بسبابه ، وهو يقول :

— (موسى) وحده لن يكفي تفصيله . لقد هزمت ذلك
الشيطان المصري من قبل . . . إنا ستطلق خلفه كل رجالنا في
أربعين . . . ولن تسمح له بمغادرتها حيا أبدا .

ثم هصر من خلف مكبه . وهو يستورد في حمار .

— مؤ (موسى) بالعودة فوراً ، فحماسه الزائد قد يفسد
كل شيء ، واطلب من حبرائنا أن يعدوا لحظة سريعة محكمة ،
للقضاء على (أدهم صبرى) قضاء قسراً ، ولطلقوا على هذه
اللحظة اسماً كودياً جديداً .

وصمت لحظة مفكراً . ثم أضاف في الضمير .

— فليكن اسمها (تصفية الشيطان) .

وقف (موسى) في مكتب ضابط الصغير . الواحد
للسفارة المصرية . ينقل بصره في اهتمام ، مابين سيارة
(أدهم) ، التي تقف أمام السفارة ، وجهاز (التللكس)
الصغير ، الذي ينتظر أن يحمل إليه أوامر رؤسائه .

وأخيراً . . . بدأ الجهاز في نقل رسالة جديدة . تلقتها العاملة
في هدوء وأية . ثم رفعت عينها إلى (موسى) . وهي تقول .

— لقد وصل الرائد . باهر . = ح . =

احتفظ (موسى) الورقة ، التي تحمل الرائد . من يدها في
خفية . وعقد حاجبه . وهو يقرأ فيها ما يلي

— غدا إلى الزورق . سيتم اصطاد السمكة الكبيرة
بواسطة باق صيادينا ، الذين تلقوا الآن الأوامر بذلك .

تكرر . غدا إلى الزورق فوراً .

ختم (موسى) في سحط .

— هـ .

تطلعت إليه العاملة في ذهشة . حيناً مرقق الورقة . وألقاها
في صندوق القمامة . ثم دس كتيبه في جيب معطفه . وغادر
المكتب . وهو يفهم بالعبرية . التي لا تفهم منها حرفاً
واحداً .

— إن السمكة الكبيرة تخص (موسى ذرنايلي) وحده .
ولن يصطادها غيره .

هزت العاملة كتيها . وغادت لتولي اهتمامها إلى عملها .
وهي تفهم .

— ياله من عمل !! إنا تلقى هنا بكل صولة البشر .
لم تدرك . وهي تنطق هذه العبارة . أنها تلقى . لأول مرة .

بصفت جديد من البشر . ختم أقرب إلى الشياطين

اتسم السفير المصري، وهو يقول لـ (أدهم) في ارتياح:
— من حسن الحظ أن هذه العملية قد انتهت بسرعة أيها
المقدم، فأنا أكره أن يحدث ما يسيء إلى العلاقات، بيننا وبين
أية دولة في العالم.

اتسم (أدهم)، وهو يقول:

— اطمئن يا سيادة السفير، إن أعمال المخابرات لا تسمى
أبدًا إلى العلاقات بين الدول، إلّا حينما تفشل، ففي عالمنا يحاط
النجاح عادة بالسرية، على حين يكون الفشل لمضحية.

ضحك السفير، وهو يقول:

— أعلم ذلك أيها المقدم... أعلم ذلك.

نهض (أدهم) و (منى)، وصافحا السفير في احترام،
(أدهم) يقول:

— يؤسفني أننا نستعطر للانصراف يا سيادة السفير،
فستقل أول طائرة إلى (القاهرة).

صافحها السفير في حرارة، وهو يقول:

— كنت أتخى أن تبقى في ضيافتنا بعض الوقت، ولكن
أمثالكما تحتاج إليهم بلادهم دوماً.

غمغمت (منى) باستمامة صافية:

— هذا صحيح.

غادر الاثنان السفارة في هدوء، واتسم (أدهم) في
مرح، وهو يفتح باب سيارته لـ (منى)، قائلاً:

— إنني لم أسمع جوابك بعد أيها النقيب... أين تحب أن
أدعوك لتناول العشاء؟

أطلقت ضحكة صافية، وهي تجلس في السيارة، قبل أن
تقول:

— إنني أترك الاختيار لك يا سيادة المقدم... فأنت القائد،
على الرغم من أن العملية قد انتهت.

ولكنها كانت على خطأ...

إن العملية الفعلية لم تكن قد بدأت بعد...

أو أنها قد أوشكت على الانتهاء...

فيما كان (أدهم) يدور حول مقدمة السيارة، ليحط
مكانه خلف عجلة القيادة، كانت هناك قوة مسدس،

مزودة بكاتم للصوت، منصوبة نحو رأسه، وأمام زناد هذا

المسدس، كانت سبابة (موشى دزرائيل).

الرجل الذي لم يخطئ إصابة هدفه قط...

٥ - وبدأت العملية ..

لم يكن (موسى دزرائيل) من ذلك النوع ، الذي يمكن أن يتراجع عن قرار أخذه ..

كان - مثل (أدهم) - يكره التردد والهمهمة .
ولقد قرّر أن يقتل (أدهم صبرى) في هذه اللحظة ..
وعندما بدأت سيّارته تعصر زناد مسدسة ، وقبل أن تنطلق الرصاصة القاتلة ، من فمّة المسدس المزوّدة بكاتم للصوت ، ونستقر في رأس بطلنا ، سمع (موسى) صوتاً من خلفه ، يقول بالصّرخة :

- ليس الآن يا (موسى) .

حققت (موسى) مسدسه ، واستدار في حركة سريعة ،
بواجه صاحب الصوت ، وهو يقول في حدة ، قلماً ثابت نواته :

- لماذا أتيت الآن يا (دالميد) ؟ وكيف تجرؤ على متعّي من قتل ذلك الشيطان المصري ؟



وقبل أن تنطلق الرصاصة القاتلة ، من فمّة المسدس المزوّدة بكاتم للصوت ، ونستقر في رأس بطلنا ، سمع (موسى) صوتاً من خلفه ..

عقد (دافيد) ، رجل (الموساد) ، حاجيه ، وهو يقول
في صرامة :

— إنها لم تعد مهنتك الآن يا (موشى دزراليل) .. لقد
صدرت الأوامر بعودتك فوراً إلى (تل أبيب) ، وسيولى
الفراد مكتب (برلين) مهمة القضاء على (أدهم صبرى) ..
أطلقت من عيني (موشى) نظرة باردة صارمة ، وقفز
الحق في أعماله إلى الدروة ، وهو يسمع من خلف ظهره
صوت سيارة (أدهم) تتطلق ، واكتسى صوته ببرودة
قاسية ، وهو يقول :

— يا للدكاء ... لو أنك تأخرت ثانية واحدة ، لكانت
نلك العملية ، التى مسخطون لها ، وتقاتلون من أجلها ، قد
انتهت ، ولست بكم جنة رجل المخابرات المصرى ، على طبق
من ذهب .

قال (دافيد) في حدة :

— إنك تسبق كثيراً بقدرات ذلك الشيطان المصرى
يا (موشى) .

أجاب (موشى) في غضب :

— بل أتم الذين يبالغون كثيراً في قدراته .

وان عليهما صمت ثقيل لحظة ، ثم قال (دافيد) في صرامة
— اسفل أول طائرة يا (موشى حاييم دزراليل) ، واترك
لنا مهمة تصفية (أدهم صبرى) .. هذا أمر .
انصبت قامة (موشى) ، وهو يقول في حزم :
— لن أغادر (برلين) ، قبل أن أقبل (أدهم صبرى) .
صاح (دافيد) في وجهه عتداً غاصياً :
— أطع الأوامر يا (موشى) .
تفجرت كلمة (موشى) كقنبلة من الصرامة :
— كلا .

احقن وجه (دافيد) في شدة ، وهو ينفخ :

— أيها القبي .. إنك تفسد كل الأمور بعنادك .. لقد
بدأت لحظة تدمير (أدهم صبرى) بالفعل ، وهى تقتضى
ضرورة عودتك فوراً .

جاءته إجابة (موشى) المقصصة الصارمة مرة أخرى :
— كلا .

لم يكن (موشى) ينطق بحروف كلمته الأخيرة ، حتى شعر
بقوى مسدسين تلصقان بظهره ، على جانبيه عموده الفقرى ،
وسمع (دافيد) يقول في حزم وصرامة :

— سعل يا موسى حبيب ذررائيل) .. سعل
أو تلقى خضك .. الآن ..

أطلقت (مسي) من أعماق صدرها زفرة قوية ، وهي تجلس
إلى حوار (أدهم) ، في طريقهما إلى المطار ، فاستمع هذا
الأخير في هدوء ، وهو يقول :
— إلى هذا الحد ؟

تهدت مرة أخرى ، وقالت ذلك آن تلتفت إليه .
— إنني أشعر بالخيرة .

سألها في هدوء :

— لماذا ؟

التفت إليه ، وهي تقول في اهتمام :

— لأنني أعجز عن تحديد ما إذا كنا قد نجحنا في هذه المهمة
أم لا !! .. لقد قتل (موسى) أربعة من رجالنا ، وكان من
المفروض أن نقله بلا راحة ، كقصاص عادل يستحقه ، لأن
نكفي بالفساد محاولته وجرمته الخامسة فحسب .. إن بقاء
الألمني على قيد الحياة ، يعني أن شتمها سيجد حتماً ضحية
جديدة ، إن عاجلاً أو آجلاً .

لم تجبها (أدهم) على الفور .. ظل صامتا وهو يوقف السيارة
أمام المطار ، ثم قال في هدوء :

— ربما كنت على حق يا (مسي) ، فهذه العملية بدأت في
سحيفة منذ البداية ، ولكنني أترجم — متداخلة — بمبادئ
لنفسى إنائها والذي (رحم الله) ، وهذه المبادئ جعلتني أرفض
قتل رجل أعزل ، حتى ولو كان سفاخا مثل (موسى ذررائيل) .
قالت في حدة :

— لا تنس أن والدك قد لقي حتفه ، بسبب تمسكه بهذه
المبادئ .

عقد حاجبه في صرامة أخافتها ، وهو يقول :

— هذا أحرم ذكراه

ثم غادر السيارة في حركة حادة ، وشعرت هي بالندم على
عبارتها . وهي تبعة في خطوات سريعة إلى داخل المطار ، ولم
تبرق على النقطة بحرف واحد ، وهو ينهي إجراءات السفر .
وراجع صايط الجوازات الألماني أوراقهما في اهتمام مبالغ ،
وراح يتقل بصره بين صورتيهما في حوازي السفر .
ووجهيهما ، ثم اتسم انتباهه لم ترق لهما . وهو يقول
لهم أدهم :

— أين حقائقك يا هجر (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) في برود :

— لسنا نحمل آية حقالب .

رفع الضابط حاجيه في دهشة مصطمة ، وهو يشير إلى

حقيبة صغيرة ، بالقرب من (أدهم) ، قائلاً :

— هكذا ؟ .. وماذا عن هذه ؟

لم يحاول (أدهم) أن يلمص إلى الحقيقة ، وإنما قال في

هدوء ، وهو واثق من أنه هو (منى) لا يحملان آية حقالب .

— إنها ليست حقيبتنا .

عاد الضابط يعلمهم في سخرية :

— هكذا ؟

ثم انحنى في هدوء ، والنظرة الحقيقة ، وقرأ الاسم المنقوش

على مقبضها ، وهو يقول :

— (أدهم صبرى) .. أليس هذا اسمك يا سيدى ؟

عقد (أدهم) حاجيه في دهشة ، واشتم أنفه رائحة جثة

دنيئة ، وهو يقول في جدة :

— بللى .. هذا اسمى ، ولكنها ليست حقيبتى .

انخفض السخرية من ملامح الضابط الألمان بغية ، واكسى

وجهه بزعج من الصرامة والغضب ، وهو يقول في جدة :

— هكذا ؟

وبإشارة سريعة من يده ، وقبل أن ينطق (أدهم صبرى)

بحرف واحد ، أو يتحرك هو (منى) حركة واحدة ، أحاط

بهما خمسة من رجال أمن المطار ، وصوبوا إليهما قناعات

مدافعهم الرشاشة ، على حين استورد الضابط الألمان في

حزم .

— والآن يا هجر (أدهم صبرى) .. أهى حقيقتك أم لا ؟

عربد الغضب في أعماق (موسى) ، حينما شعر بقُوته

المسدسين تلصقان بظهره ، وسمع (دافيد) ، وهو يلقي إليه

بأمر الرحيل الصارم ، وأيقن أنهم يمنعون من قتل غريمه

اللُدود ، ويضربون على إبعاده عن العملية بأسرها ..

وتغرد كيان (موسى) كله ..

وفي حركة سريعة انحنى (موسى) ، وغاص بجسده إلى أسفل

في مرونة ، ثم ارتفعت قبضته تطيحان بالمسدسين ، قبل أن

يقفز واقفاً على قدميه ، ويلكم (دافيد) في فكته بقوة ، ثم يدور

على غنائه ، ويلكم الرجلين الآخرين بقبضته في معدتيهما ،

وانطلق يركض مبتعداً ، فصاح به (دافيد) في صوت مُحَقِّق :

— سأفكك من أجل هذا يا (موسى) .

ولكن (موسى) لم يتوقف ، بل استقل أول سيارة أجرة صادقة ، وصاح بقالدها في صرامة :

— المطار .

والتفت به السيارة إلى هدفه ، ونحست يده مسددة ، الساكن في جيب معطفه ، واتخذ حاجباه في حدة ، وهو يلطم في صرامة :

— السمكة الكبيرة من نصيبي أنا .. من نصيبي وخدي .

عقد (أدهم) حاجبه في حق وصرامة ، وهو يقول للضابط الألماني :

— ما الذي ينبغي كل هذا ؟ قلت لك إن تلك الحقيبة اللينة لا تخصني .

أجاب الضابط في صرامة :

— قل ما يحملوك ، لقد تلقينا بلاغاً بشأنك .

شهقت (منى) في دهشة ، حينما انحطفت أحد رجال الأمن حفية يدها ، وصاحت في خنق ، حينما رأته يقلب محتوياتها على منضدة قرية :

— ليس هذا من حقك .

برقت عينا الضابط الألماني ، وهو يلتقط مسدسها الصغير ، من بين محتويات الحقيبة المبعثرة ، قائلاً :

— بل هو تفتيش قانوني يا سيدي .. أترى ماذا لدينا هنا ؟ مسدس صغير ، مصنوع بأكملة من البلاستيك القوي . حتى لا تكشفه أجهزة التفيش الإلكتروني .

ولوح بالمسدس في وجهها ، مستطرداً في صرامة :

— ما الذي تفعله سيدي رقيقة مطلق ، يمثل هذا النوع من المسدسات ، الذي صُنع خصيصاً للإرهابيين ، وتختلسي الطائرات ؟

أجابته في برود :

— وما الذي يفعله سخيف مطلق في إدارة أمن المطار ؟ عقد الضابط حاجبيه في غضب ، احتقن له وجهه ، فازدادت حُمْرته ، وهو يلتفت إلى (أدهم) ، قائلاً في حدة :

— هل تحمل أنت أيضاً مسدساً من البلاستيك بأمر (أدهم) ؟

تجاهل (أدهم) السؤال ، وهو يقول في صرامة : — إنك ستشير أزمة دبلوماسية عجيبة ، بين دولتنا آسيا الضابط ، وأنا أطالبك بالاتصال بمسافرتنا هنا و

قاطعة الضابط في جثة :

— ليس الآن يا هجر (أدهم) .

ثم أشار إلى فتاة شقراء ، ذات عيتين زرقاوين لامعتين .
ترتدي زيّ رجال الأمن ، وهو يستطرد :

— سنقوم بتفصيل السيدة أولاً ، ربنا تخبرنا بأرقام قفل
حقيقتك ، لنشاهد محتوياتها منّا .

اقتربت الشقراء من (منى) ، وجذبتها من ذراعها في
خشونة ، إلى حجرة جانبية ، وأغلقت بابها خلفهما في عنف ،
على حين قال (أدهم) لي غضب :

— قلت لك إنها ليست حقيقتي .

ابتسم الضابط الألماني في سخرية ، وهو يقول :

— حساً ، سنحاول نحن فتح الحقيبة دون معاونتك .

كان (أدهم) يتوقع أن يذل رجال الأمن جهداً كبيراً ،
لفتح تلك الحقيبة المجهولة ، إلا أن الضابط الألماني لم يكذب بجذب
قليلها ، حتى انفتح في هدوء ، فاهلكت أساوره ، وهو يقول :

— إنك لم تحاول حتى تغيير أرقامها يا هجر (أدهم) .

ثم فتح الحقيبة في عفة ، وبرقت عيناه في شدة ، واتسعت

عيناه (أدهم) بذوره ، فقد كانت الحقيبة تمثل مجسوق
أبيض ..

مجسوق الميرومين .

قالت (منى) في صرامة ، وهي تواجه فتاة الأمن الشقراء :

— كلاً .. لن أخلع ملابسى ، ولن أسمح لك بتفتيشى .

ارتسخت ابتسامة خبيثة على شفتى الشقراء ، وهي تقول :

— لا بأس .. لا ضرورة لخلع ثيابك ، فوجود فتاة بكامل

ثيابها ، يبدو أقل مدعاة للشكوك ، عند عبور الحدود .

عقدت (منى) حاجبها ، وهي تقول في قلق :

— أية حدود ؟

وفجأة .. انقضت عليها الشقراء ، ووضعت على أنفها

وفعها منديلاً كبيراً ، تفوح منه رائحة مخدر قوي ، وهي تقول :

— حدود (برلين الشرقية) .

قاومت (منى) في شراسة ، ولكن المقاومة كانت تحتاج إلى

مزيد من الأنفاس ، ومع الأنفاس مزيد من الخدر و

وفقدت (منى) وعيها ..

ظل ، أدهم ، يحدق في مسحوق المبروسين ، الذي يملأ
الحقبة لحظة ، ثم لم يلبث أن هتف في غضب :
— آية خدعة حقيرة هذه ... هناك من يسعى للإيقاع بنا في
تهمة سخيفة .

أغلقت الضابط الألمانى الحقبة في صرامة ، وهو يقول :
— لقد كان البلاغ الذى تلقيناه صحيحاً يا هير (أدهم) .
لوح (أدهم) يذراعه في غضب ، وهو يقول :
— إننى أنكر منذ البداية أنها حقينى ، ولن أستسلم
لسخافتكم أكثر من ذلك . سأصحب زميلتى ونصرف من
هنا ، وإلا أقامت سفارتى الدنيا وأقعدتها .
وفى حركة حادة ، الدفع نحو الحجرة الجانبية ، التى
اصططحت إليها فتاة الأمن الشقراء (منى) ، ودفع بابها ،
وهو يقول فى صرامة :

— حيّا يا (منى) . . .
بتر عبارته بقعة ، وانسمت عيناه فى دُغْرِ ، حينما التقطت ألقه
المدّرب والحة المخدّر الواضحة ، ورأى الحجرة خالية ، وبابها
المخلفى مفتوح على مصراعية ، فهتف فى ثورة :
— (منى) !



وفجأة . انقضت عليها الشقراء ، ووضعت على أنفها ولحمها منديلًا
كثيراً . فلوّح منه والحة مخدّر لمرور .

صاح الضابط الألماني في صرامة :

— قبل يا هنر (صبرى) ، وإلا أطلقنا النار .

ولكن (أدهم) لم يتوقف ، ولم يُعزِ تهديد الضابط الألماني
التباطؤ ، فقد تعلق بصره بمشهد آخر ..

مشهد الشقاء ، وهى تدفع جسد (منى) ، الفاقدة
الوعى ، داخل سيارة سوداء كبيرة ، ثم تقفز خلفها في المقعد
الخلفى ..

وأتقن (أدهم) أن المهمة لم تكن قد انتهت كما كان يتصور ،
وإنما بدأت ..

ومن خلفه ارتفع صوت الضابط الألماني بصرخ في
صرامة :

— أطلقوا النار ..



٦ — بين نارين ..

ياله من موقف لا يُحسد عليه (رجل المسجّل) !!
زميلته وزفيقة عمله وقلبه ، تُخطف لفاقة الوعي أمام
عينيه ، وقوّهات خمسة مدافع آلية مصوّبة إلى ظهره ، وقد تلقى
أصحابها أمرا بإطلاق النار عليه بلا رحمة ..

ماذا يفعل ؟ ..

أى النارين يقتحم ؟ أى الخطرين يجابه ؟ ..

ولم يكن لديه الخيار ..

منطقيته ، وخبرته في عمله السابق ، كمقاتل في قوات
الصاعقة ، فرضا عليه أسلوب العمل الحتمى ..

لابد أن يؤمن ظهره أولا ..

لقد فكّر ، واتخذ القرار في جزء من أعشار الثانية ، كمعادته
إزاء أى خطر داهم ..

وبدأ التنقيل في العشر الثانى من الثانية ..

وقبل أن يضغط رجال الأمن الخمسة أزرعة مدافعهم
الآلية ، تحوّل هدفهم فجأة إلى عاصفة ..

بل إلى إعصار .

إعصار مدمر . يفوق إعصار (تورنادو) الشهير .
كان يقف على بعد أربعة أمتار ، من قذافات مدافع الرجال
الحمسة ، حينما صدر إليهم الأمر بإطلاق النار عليه ، ثم أصبح
على بعد متر واحد ، عندما بدأت أصابعهم تضغط أزرار
المدافع ، وحشمت قبضته اليمنى فك أوّلهم ، وحطمت اليسرى
ألف الثال . وقفز فوق رؤوسهم ، حينما انطلقت رصاصات
المدافع .

كل الرصاصات ضاعت في الهواء .

وكل لكلمات وركلات (أدوم) أصابت هدفها .

لقد ركل فك الثالث بقدمه اليسرى ، وأصابته قدمه اليمنى
حبة الرابع ، قبل أن يخط على قدميه مرة أخرى . ولم يكذب
يفعل حتى هوت قبضته اليمنى كالقنبلة ، على مؤخرة عتق
الخامس . ثم دارت قبضته اليسرى في الهواء ، لتستقر كظنق
ناري ، بين عيني ضابط الأمن .

(ج) إعصار تورنادو : رياح عذارة ، تدلّ من السماء إلى الأرض ،
على هيئة قمع أسود رهيب ، هبّ من حوله الرياح حلزونيّا إلى أعلى ،
ويقلّ ويصعد ويهبط ، مسّا الدمار ، وهو أشدّ الأعاصير قوّة ،
والأضرّها وقتا ، وعندما يحدث في البحر يعرف باسم (نافورة المياه) .

كل هذا حدث - تقريبا - في ثانية واحدة .

وفي الثانية التالية - كان (أدوم) يعدو ، بأقصى ما يمكنك
من قوّة وسرعة ، نحو السيارة السوداء الكبيرة ، التي
انطلقت ، وهي تحمل رفيقه .

وضغط قائد السيارة السوداء دواسة وقود سيارته . بكل
ما يمكنك من قوّة . وتجاهل أين اهتزك الحديد ، وهو يدفع
السيارة إلى الأمام ، فيما يشه القفزة . قبل أن تطلق متعده
كالصاروخ .

وأيقن (أدوم) أن ساقه . مهما بلغت من قوّة وسرعة .
لن تلحقا بسيارة قوّة . فتولّف بقية . ودارت عيناه فيما حوله
في سرعة وتوتر . ثم اندفع نحو سيارة . أوقفها صاحبها على
التو . فانقضّ على الرجل . ودفعه خارج سيارته في خشونة .
ثم فخر خلف عجلة القيادة ، وانطلق خلف السيارة السوداء .

وفي نفس اللحظة وصلت سيارة الأجرة . التي يستقلها
(موشى) ، إلى حلبة الصراع . ورأى هو السيارة السوداء
الكبيرة . وهي تنطلق متعده بأقصى سرعة . وتعرف فيما يسمى
قومه . ورأى (أدوم) يتدفع خلفها . داخل سيارة المانية

صغيرة ، غير سال بوحاصات رجال الأمن ، التي انبالت
حلته كالطير ، فانزع (موسى) مسدسه ، وألصق قوته
بمؤخرة حلق قائد سيارة الأجرة ، وهو يقول في صرامة :

— انتهت الرحلة — بالنسبة لك — يا رجل .. غادر
السيارة بأقصى سرعة ، وإلا ألقت رأسك برصاص
مسدسى .. هيا .. إني أملك ثابتيين فحسب .

امتد قلب قائد السيارة برعب هائل ، وهو يقفز خارج
سيارته ، واتسعت عيناه في ذعر وذهشة ، حينما رأى
(موسى) يقفز في مروحة ، من المقعد الخلفى للسيارة ، إلى
مقعد القيادة ، ثم يطلق بها في مهارة وحكمة رائعين .
وبدأت أعجب مطاردة شهدها سوارع (برلين
الغريبة) ..

كانت سيارة (الموساد) السوداء في المقدمة ، تطاردها
سيارة (أدهم) الصغيرة ، وخلفهما سيارة أجرة يقودها
(موسى) ، ثم واحدة من سيارات الشرطة تطارد الجميع .
وكان العامل المشترك في كل أطراف المطاردة ، هو
الإصرار ..

الإصرار الشديد ..

وصاحت الشقراء في وجه قائد السيارة السوداء :

— أسرع .. لو لحق بنا فسفشل الحطة كلها .

هتف في حلق :

— إن السيارة تنطلق بأقصى سرعة ممكنة ، ولا تنسى أنا

داخل المدينة .

صاحت في مزيج من الغضب والتوكر :

— زد السرعة ، حتى ولو صدمت كل السائرين في هذه

المدينة اللعينة ، واجتزت كل علامات المرور .. هيا .. المهم

ألا يلحق بنا ذلك الشيطان المصرتي أبدا ..

زاد قائد السيارة السوداء من سرعة سيارته ، فانسعت

المسافة بينه وبين (أدهم) ، الذي شعر بالخطى ، لأن محرك

سيارته الصغيرة يعجز عن محاكاة محرك السيارة السوداء ،

فراح يغمغم في سخط :

— إله خطئي .. كان ينبغي أن أقتله .. لو أنى فعلت ،

لانتبت المهمة في سرعة .. كان ينبغي أن أسحق ذلك الوغد

لم يكذب يتم عبارته ، حتى وجد سيارة (موسى) إلى

جواره ، ورأى هذا الأخير يرفع مسدسه ، ويلاحظه بحمل لفس

الجمود والبرود ، فضغط كضاحه سيارته في قوة ، وتعالى

صبر الإطارات ، وهي تحك بالأسفلت في حنف ، وتصاعد
منها أبخرة شديدة ، من قوة الاحتكاك ..
ولكن (موسى) أطلق رصاصه ..
وما زال (موسى) — بعدها — يحفظ شهرته ..
فهو لم يخطئ إصابة عدده أبدا ..

غير (دافيد) باب حجرة مكتب رئيس (الموساد) ، في
(برلين الغربية) ، وتطلع إلى الرجل البدين ، الأصغر
الرأس ، الذي يجلس مقعد الرئيس ، واتسم وهو يقول :
— كل شيء يسير على مايرام يا جنرال (سمحون) .
وعنه البدين ينظرة باردة ، وهو يشعل سيجاراً فاعزاً ،
ويفت دخانه في الهواء ، قبل أن يقول في بطة وخجل :
— هل عثرت (مارينا) حدود (برلين الشرقية) ؟
أجاب (دافيد) في حماس :
— سعتها بعد لحظات يا جنرال .

تساءل (دافيد) ، وهو يتطلع إلى عيني الجنرال البدين ،
البالغي الضيق ، عما إذا كانتا مفلقتين أم مقروبتين ، حينما قال
الرجل في برود :

— ماذا تقصد إذن بأن كل شيء على مايرام ؟

ارتد (دافيد) لعابه ، وقال :

— لقد فقد الشيطان المصري ألهمه ، و (موسى)
يطارده ، والشرطة الألمانية تطارد كليهما ، ولن يبقى أمام
(أدهم صبرى) سوى الخضوع لخطتنا ، ونقل القنال إلى
الجبهة الشرقية .

غمغم الجنرال (سمحون) في هدوء :

— ليس بعد .. إن التصور بما قد يفعله ذلك الشيطان المصري
مستحيل .

حنف (دافيد) متسلقاً :

— ولكنك وضعت لحظة شديدة الدهاء يا جنرال ، ومن
الحال أن يتجر (أدهم) وزميلته هذه المرة .

مط (سمحون) شفته السفلى في تكاسل ، قبل أن يفهم :
— هذا الرجل يحطم دائماً حاجز المستحيل .

حنف (دافيد) في حماس :

— ليس هذه المرة يا جنرال .. إنك — والحق يقال — تدبر
العملية على نحو رائع .. لم أشهد مثله من قبل ، فأنت تحجبه على
ترك (برلين الغربية) ، حيث يمكنه أن يتمتع بحرية حركة

كافية ، إلى (برلين الشرقية) ، حيث يمكننا إحكام الحصار
حول ، ثم لتلق في وجهه طريق العودة إلى (برلين الغربية) في
الوقت ذاته ، بعد أن أصبح متهمًا فيها بتهرب المتمردين ،
ومقاومة رجال الشرطة ، والفرار من الاعتقال .. بل إنك
تطلق خلفه سلطات (ألمانيا الشرقية) كلها ، بواسطة عيشتنا
المزدوجة (مارينا) .. لقد أثبتت تفوقها حقًا ، حينما
اعتصمت زميلك من مطار (برلين الغربية) .

استمع إليه الجنرال (صحون) في هدوء ، وعلى نحو
يؤجى بأن الأمر كله لا ينبغي على الإطلاق ، ثم قال في برود :
— كل هذا لا ينبغي أننا قد انتصرنا يا (فافيد) .

والفرج جفناه لحظة ، أطلّ منهما عظامها برقى عيبه
الحضراوين ، وهو يستطرد :

— إن الصيد لم يدخل المصيدة بعد .

لقد أصابت رصاصة (موسى) هدفها تمامًا ..
أصابته في دقة وإحكام مذهلين ، وعلى نحو يؤكد أحقية
عمل (الموساد) بشهرته ..
ولكن ذلك الهدف لم يكن (أدهم صبرى) ..

لقد كان الإطار الأمامي الأيسر لسيارته الصغيرة ..
إن (موسى دزرائيلي) لم يشأ أن ينسى العملية على هذا
النحو ، الذي يجعله أجبته بقاتل محترف ، لا برجل غابرات
رهيب ..

كان غروره يلخ عليه في أن يرى نظرات المزمنة ، في عيني
(أدهم صبرى) ، قبل أن يقتله ..

كان ثوبًا من أن هذا وحده سيشفى غليله ، ويرد نار
المزمتين ، الذين كبّده إياهما (أدهم) ..

ولقد أطلق النار على إطار ميارته ، ليجبره على التوقف
والمواجهة ..

وأصاب هدفه ..

ومع انفجار الإطار ، فقد (أدهم) سيطرته على
السيارة ، التي أخذت تدور حول نفسها على نحو مخيف ، حتى
ارتطمت مقدمتها بمحاجر من الطوب ، حديث البناء ، فانهار
الحاجز ، وسقط الطوب فوق السيارة ، مهشمًا زجاجها ،
ومحيطًا إياها بسحابة من غبار عيف ..

وأوقف (موسى) سيارته ، وقفز منها ليعدّ نحو سيارة
(أدهم) المحطّة ، مُشهرًا مسدسه .. ولكنه لم يكده يقترب منها
حتى رأى سيارة الشرطة الألمانية تُعبر الطريق في سرعة ،

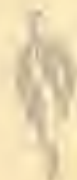
وتنقلب إلى جوار السيارة المقلّبة ، ويقفز منها رجال
الشرطة ، ليحيطوا بها ، فأصرع يعبد مسدسه إلى جيب
معطفه ، ويتقدم نحو السيارة في هدوء ..

وفجأة .. تبحر كل هدونه ، حينما بلغ سحابة الغبار ، التي
أحدثت تنقشع في بطنه ، فقد سمع أحد رجال الشرطة يتفد في
دهشة بالغة

— أين السائق ؟ .. أين ذهب ؟

أسرع « موسى » الخطأ ، ليحتاز بقايا سحابة الغبار ،
وتطلع في دهشة إلى السيارة الخالية ، ثم تلفت حوله في حدة ،
محا عن صيده

ولكن (أدهم صبرى) كان قد أخطى ..
أخطى تمامًا ..



أسرع « موسى » الخطأ ، ليحتاز بقايا سحابة الغبار ، وتطلع في دهشة إلى
السيارة الخالية ، ثم تلفت حوله في حدة محا عن صيده

٧- من الغرب إلى الشرق ..

غيزت السيارة السوداء الكبيرة تلك البوابة ، التي تفصل ما بين حدود (ألمانيا الغربية) و (ألمانيا الشرقية) ، والحرب منها حارس الأمن ، وانحنى يتفحص الجالسين ، وتوقف بصره طويلاً على وجه (منى) ، التي بدت وكأنها غارقة في سبات عميق ، ثم قال في هدوء :

— جوازات السفر .

ناولته السائق الضخم ثلاثة جوازات سفر ، فالتفتها الحارس ، وتفحص الصور التي تحويها جيداً ، ثم أشار إلى (منى) ، وهو يقول في خشونة :

— إنها مصرية .

أجابته (مارتينا) الشقراء في برود :

— هل تمنعون دخول المصريات في هذه الأيام ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— ليس حينما يستيقظون ، فلماذا من سؤاها عن سب زيارتها أولاً

أجابته (مارتينا) في صرامة مماثلة :

— مثل ما هذا لك ، وسأجيب أنا .

أجابها في حزم :

— كلاً .. لماذا من سؤاها شخصياً

انعقد حاجبا (مارتينا) في غضب ، وازدادت غيهاها الزرقاوين تألقاً ، وهي تلتقط من جيب قميصها بطاقة صغيرة ، مغلفة بغلاف من البلاستيك السميك ، وتحمل خانماً غائراً ، وصورة واضحة ملونة لها ، وناولتها للحارس ، وهي تقول في صرامة شديدة :

— ستعبر دون مزيد من الأسئلة أيها الحارس ..

امتنع وجه الحارس ، وهو يقرأ الكلصات المدونة على البطاقة ، وارتجف صوته ، وهو يفهم :

— بلا شك .. بلا شك .

وأشار إلى حارس آخر ، فأسرع برفع حاجز الأمن ، في حين أعاد هو البطاقة إلى (مارتينا) ، التي اتسمت في برود ، وهي تعيدها إلى جيبيها ، وانطلق السائق يعبر الحدود ، إلى داخل (برلين الشرقية) ، على حين تابع حارس الأمن بصره السيارة ، وهو يفهم في اضطراب :

— يا الهي !! إنها من المديحى فى ١٢٧

دس (أدهم) كفيه فى جيبي سترته ، وهو يتحرك فى
خطوات سريعة ، عبر شوارع (برلين الغربية) .
كان يشعر بحرق بالغ ، لأنه فشل فى اللحاق بمختطفى
(منى) ، بعد أن وضعوه بين شقي الرحى .
لقد أصبح مجرماً مطارداً فى الغرب ، وعبيداً منشوذاً فى
الشرق ..

لقد أدرك على الفور ، من الطريق الذى اتخذته السيارة
السوداء ، أن أفرادها ينزفون عبر الحدود ، من الغرب إلى
الشرق ، وأنهم يحاولون إجباره على اللحاق بهم هناك ، حيث
تنتظرونه — ولا شك — مصيدة مفتوحة الفكين ، تنتظر دخوله
إنها . لتطبق عليه بفكيها بلا رحمة ..

وذلك الوغد (موسى) يصير على قتله .
لقد نجح فى الفرار ، من التورط فى مشاكل مع الشرطة
الألمانية الغربية . مستغلاً محاية الغبار ، التى أحاطت
بسيارته ، بعد ارتطامها بحاجز الطوب . ولكنه أصبح الآن
وحيداً ، بلا سلاح ، أو رفيق ..
وعليه أن يقاتل وحده

١٢٨ كفى من المديحى فى ١٢٨

وأن يدخل إلى الفخ بقدميه

هذا ما يشدونه

وهذا ما سيفعله ..

صحيح أنه لم يعد يملك سلاحاً ، ولكنه يملك مهارة يزر فيها
الجميع ..

وسيت لذلك الوغد (موسى) أنه الأول فى هذا
المضمار ..

مضمار التكر

سيبت له أن التكر فى عميق ، خطير ..

فمن يمنحك ألف وجه ، حيناً يصبح وجهك معروفاً منشوذاً ..
سيقابل بهذا السلاح وحده ..

سلاح الألف وجه

ولى هدوء .. ذلف إلى أول متجر قابله ، واتسم فى وجه
العاملة ، التى تطلعت فى دهشة إلى الغبار ، الذى يغطي وجهه
وشعره وخلته ، وهو يقول فى بساطة :

— أريد عشر دقمتى متوسطة الحجم ، من البلاستيك ،
وعلى أدوات (مكياج) كاملة ، وبعض صبغات الشعر ،
وعلى ألوان زيتية كبيرة الحجم ، و

قاطعة البائعة في دهشة :

— أهي مشريات للأسرة كلها ؟

أجابها بانصامة هائلة :

— بل لي وحدي .

سألت في دهشة :

— حتى علة أدوات (المكياج)

أوما براسه إيجابا ، وهو يقول في هدوء :

— نعم . . . إني أستخدمها على نحو يختلف .

وازداد صوته عمقا ، وهو يستطرد :

— على نحو يقود إلى الشرق .

لم تشف ملامح (موسى) — كالعادة — عما يعمل في أعماقه ، لمحيث جامدة ، باردة ، وهو يعود إلى فدفده . ولكنه لم يكذب بطلا حجريته ، حتى تحول فجأة إلى كتلة من النشاط . فخلع معطفه ، وألقاه على مستند مقعد قريب ، ثم التفت حقيقته . وفحصها ، وتناول منها مستمدا من الياشيك ، وثلاث خزانات لطلقاته ، ودرس كل هذا في جيوب سترته . ثم تناول رزمة من جوارات السفر ، التقى من بينها واحدا يجعل صورة شاب ألماني وبسم ، مقرونا باسم ألماني عجمي . وفتح

جيبا سريًا في حقيقته ، وتناول منه عدة أقنعة مطاطية رقيقة ، يحمل كل منها وجهًا مختلفا ، واستخلص منها واحدا يجعل نفس ملامح الصورة ، التي تزين جواز السفر ، وجلس أمام المرآة يرتديه في هدوء وعناية ، ثم صف شعره على نفس النحو ، ونقل بصره بين وجهه في المرآة ، وتلك الصورة في جواز السفر . ثم اعتدل واقفا في هدوء .

هو أيضا أدرك لحظة بني قومه ، وعلم أنهم سيحiron (أدهم) على نقل المعركة إلى (برلين الشرقية) . حيث يمكنهم إحكام الحصار حوله ، باستغلال عملياتهم المزدوجة (مارينا بوشكين) . . . تلك الألمانية الشرقية الفاتنة ، التي تعمل — في آن واحد — لحساب (الموساد) والد (كئي جي) .

ولكنه لن يترك لهم شرف الفوز ، والقضاء على (أدهم صيري) .

وهو وحده سيفتله .

سيفتله بواسطة مناسبة ، تليق بكلبيها .

سيفتله في الوقت ، الذي يحدده هو .

سيفتله في الشرق .

كان (أدهم) يعلم ضرورة تحركه في سرعة ، قبل أن تنقلب

الدنيا كلها على رأسه ؛ لذا فقد استأجر حجرة صغيرة . في
لقدق متواضع . لم تبلغه أنباء بحث الشرطة عنه بعد . وأخبر
صاحبه العجوز أنه سيخلد لنوم عميق ، وطلب منها عدم
إزعاجه . مهما كانت الأسباب . وما إن استقر به المقام في
حجروته . حتى أخرج من الحقيبة التي ابتاعها ، ثلاثاً من
الذهبي المصنوعة من البلاستيك ، ووضعها في إناء صغير . ثم
وضع الإناء داخل آخر كبير . وملاً الفجوة بينهما بالماء . ثم
وضع كل هذا فوق المنقذ ، وتوكل الحرارة لتذيب الذهبي .
وزاح هو يخرج بقية الأشياء التي أحضرها ، ويعمل في سرعة .
بدأ بتغطية وجهه ببطقة رقيقة من صلصال خاص . سريع
التجملد . والنظر حتى جف تماماً . ثم نزعته عن وجهه في
حرص . وأخرج من جيبه جواز سفر إضافي . يحرص دوماً
على حمله معه . ووضعها أمامه . وزاح يستخدم الصلصال الباقي
في صنع وجهه . شبه بوجه الرجل ، الذي تبدو صورته في
جواز السفر . وراحت أصابعه تتحرك في سرعة ومهارة .
تؤكد أن خبرته . وبراعته في هذا البصنار . ثم انتقل إلى
الإناء ، الذي ذات فيه الذهبي تماماً . وتحولت إلى سائل سيك
بعض الشيء . وأخذ يضيف إلى السائل قطرات من الألوان
الزينة . في حرص شديد . حتى اصطبغ بلون مشابه للون

وجه صاحب الصورة . وهنا رفع الإناء . واستخدم
(فرشاة) رقيقة في دهن الوجه . الذي صنعته لصاحب
الصورة . ببطقة رقيقة من السائل . الذي تجملد في سرعة .
ليضع وجهها شيئاً بوجه الرجل . وبعدها صنع (أدهم)
قناعاً آخر . يحمل وجهه هو . والصلق القناعين بعضهما بعض
في عناية . بحيث يكون القناع الذي يحمل وجهه إلى الداخل .
حتى ينطبق على علامته تماماً . في حين يكون القناع الآخر إلى
الخارج . حتى يبدو شيئاً بوجه صاحب الصورة في جواز
السفر . ثم شرع يضيف لمسات بارعة . بواسطة أدوات
(الكياج) . حتى صار القناع أشبه بوجهه حتى . وهنا بدأ
يضيف إلى عينيه عدسات ملونة . ذات لون أزرق مائل إلى
الخضرة . وجلس أمام المرأة يصنع شعره باللون الأشقر
الذهبي . ويصففه على نحو مختلف . ثم يرتدى القناع في
عناية .

وأخيراً . وبعد ثلاث ساعات من العمل المتواصل . تحول
(أدهم صري) إلى رجل آخر .
وأصبح عليه الآن أن ينتقل إلى حلبة الصراع .
من الغرب . إلى الشرق .

٨ - داخل المصيدة ..

شعرت (منى) بصداع شديد يكتنف رأسها ، فأنزعت لى ألم ، وهى تستعيد وعيها ، وفحت عينيها لى بطن ، فطالعتها صورة مهتزة لحجرة خافتة الإضاءة ، ومنضدة مجلس خلفها ثلاثة رجال ، يحضون عنها ضوء مصباح خافت ، فعادت تفلق عينيها ، وراح عقلها يستعيد قدراته فى بطن ، فانتبهت إلى أنها جالسة فوق مقعد خشبى خشن ، وأنه هناك أصوات تتردد فى المكان بلغة تجهلها ، مما جعلها تعود لطرح عينيها ، وتطلع إلى ما حولها لى دهشة وذعر .

كانت تجلس فى منتصف حجرة رطبة ، خالية من الأثاث ، إلا من ذلك المقعد ، الذى تجلس فوقه ، وتلك المنضدة الخشبية ، التى يجلس خلفها الرجال الثلاثة ، بوجوههم الباردة الجامدة ، ونظراتهم الصارمة القاسية ، المركزة فوق وجهها .. وبكل ما يملأ نفسها من جزع ، هطت (منى) :
- أين أنا ..؟ من أنتم ؟

لم يجب أحد عن سؤالها ، اللذين ألقتهما بالعربية ، وجاء صوت أنثوى ساخر من خلفها ، يقول :

- هل استعدت وعيك أيتها الجاسوسة ؟

التفت (منى) لى حدة إلى مصدر الصوت ، فطالعتها وجه (ماريتا بوشكين) بملامحها الجميلة ، وعينيها الزرقاوين اللامعتين ، وابسامها الساخرة ، فعدت (منى) حاجبها ، وهى تقول بالإنجليزية :

- أهو أنت أيتها الأفعى ؟

خامرتها رغبة قوية لى أن تلم وجه (ماريتا) ، إلا أن هذا نبهها إلى أنها مقيدة إلى المقعد ، فالتفت إلى الرجال الثلاثة ، وقالت فى غضب :

- إذن فأنت من (الموساد) !

أخفى الضوء الخافت شحوب وجه (ماريتا) ، وأخفت خشونتها ارتجاف صوته ، وهو يقول :

- لا داعى للأعجب أيتها المصرية .. أنت تعلمين أنك لى (برلين الشرقية) ، بتهمة التجسس .

فطفت (منى) لى دهشة :

- التجسس !؟

وهنا فقط تحدث أحد الرجال الثلاثة في خشونة ،
وبالإنجليزية تشوبها لكحة شرقية ، وهو يقول :
— (منى لوفيك) .. أنت متهمة بدخول (برلين الشرقية)
للتجسس .. فما قولك ؟
أجابته في حدة :

— قولى أنها تهمة سخيفة . لا تستد إلى أية أدلة .
فالعلاقة بين (مصر) و (ألمانيا الشرقية) على غير مايرام ،
ولا يوجد أدنى مبرر لتجسسنا عليها .
قال الرجل في برود ، متجاهلاً احتجاجها :

— لقد تم إلقاء القبض عليك داخل حدود (برلين
الشرقية) ، بواسطة الرقيب الملازم (مارتينا بوشكين) ..
وبعد تفشيك تم العثور معك على مسدس من البلاستيك ،
وثلاث قنابل زمنية . معدة للاستخدام و...
قاطعت (منى) بصيحة غاضبة :

— هذا كذب .. لقد تم اختطاف من (برلين الغربية) ،
وتلك الملازم اللعينة ، هي التي تستحق المحاكمة بتهمة
التجسس ، فهي تعمل لحساب (الموساد) .
أطلقت (مارتينا) ضحكة ساخرة ، وهي تقول :



الفتى (منى) في حدة إلى مصدر الصوت .
لظالمها وجه (مارتينا بوشكين) علامتها الخبيثة ..

— انجنى عن وسيلة أخرى للخداع أيها المصرية . قلن
يصدق أحد حرفاً واحداً مما تقولين .

غضت (منى) فى سخط :

— أنت وأنا نعلم أنها الحقيقة .

عقدت (مارتينا) حاجبها فى غضب ، ثم رفعت عينيها إلى
الرجال الثلاثة ، وهى تقول فى جدّة :

— هل يسمح لى الرفيق الجترال باستجوابها بمعرضى ؟ ..

إننى أعيدُ بالحصول على اعتراف كامل منها بعد يومين اثنين .

زأن الصمت لحظة ، ثم عاد الرجل يقول لـ (منى) فى
صرامة :

— ماقولك فى ذلك الإتهام ؟

صاحت (منى) فى غضب :

— اتهام كاذب .

رفع الرجل كفه ، ثم هبط بها مرة أخرى على المنضدة

الحشية ، فى صوت بدا أشبه بصوت صفعة قوية ، ثم قال فى

خشونة :

— حسناً أيها الرفيق (مارتينا) .. إنها لك

تألفت عينا (مارتينا) ، وهى تقول :

— بكل سرور أيها الرفيق الجترال ، سيكون اعترافها
مُعْذاً خلال ثمان وأربعين ساعة على الأكثر .

صاحت (منى) فى غضب :

— أيها الحفيرة .. إن (أدهم) سيأتى ، وسيظلم منّا

مفعليته فى .

ابتسمت (مارتينا) فى سخرية ، وهى تقول :

— ومن قال لك إننى أخشى ذلك ؟

وانسعت اصابعها الساخرة ، وحلت شراسة مخيفة ،

وهى تستطرد :

— إننى أنتظره بخارج الصبر .

تطلّع حارس الأمن ، عند بوابة (برلين الشرقية) ، إلى

الصورة ، التى يحويها جواز السفر ، ثم نقل بصره إلى صاحب

الجواز ، وتأمله فى إمعان ، قبل أن يسأله فى هدوء :

— وما سبب زيارتك لـ (برلين الشرقية) يا هُزْ

(حاجج) ؟

انصم صاحب الجواز ، وهو يقول فى هدوء ، وبألمانية

لا تيرفى إليها الشك :

— السياحة . السياحة فقط يا صديقي .

أرما الحارس برأسه ، وهو يسأل في روثية .

— هل تعمل أية أشياء متنوعة ؟

ضحك صاحب الجواز ، وهو يقول :

— قلبي فقط ، فهو يميل إلى النظام الرأسمالي .

نظر الحارس شغفه ، وهو يقول :

— أراهن أنه سيغير رأيه . بعد أن يستمتع بزيارة دولتنا ،

فالجميع هنا يعيشون في أمان ، دون أن يسيل لعابهم لمظاهر

الرأسمالية المستغلة ، و

قاطعه صاحب الجواز في هدوء :

— إنني أفضل أن أتترك في الحكم على ذلك يا صديقي .

أوما الحارس برأسه موافقا ، وناولته الجواز ، بعد أن

أضاف إليه تأشيرة الدخول ، وهو يقول :

— لئلا أن قلبك سيغير رأيه بالتأكد .

ثم أشار إلى الحارس الآخر ، لموقع حاجز الأمن ، وانطلقت

السيارة تعبر الحدود إلى (برلين الشرقية) .

لقد كاد (أدهم صبرى) . . .

ولقد غير تقديمه فكلي المصيدة .

مصيدة الجحيم .

٩ — رُقعة الشطرنج . .

ولج (دافيد) حجرة الجنرال (سمحون) باضامة

عريضة ، غمرت وجهه كله . وهو يقول في لحظة تحمل كل

ريح الفخار والظفر :

— لقد دخلت القرية الفخ يا جنرال .

ابسم (سمحون) اضمامة باهتة ، وهو يعلم

— كيف سار الأمر ؟

أجاب (دافيد) في حماس :

— كما خططت له تماما يا جنرال . لقد أبلغنا صاحبة

الفندق . فور استجاره حجرة لديها ، ولقد كنت عتقنا

بإسدي ، حينما توقعنا أنه سيقبض من مطاردة الشرطة له ،

وسنضطر للجوء إلى أحد الفنادق الصغيرة . و

قاطعه (سمحون) في ضجر :

— وماذا بعد ؟

استطرد (دافيد) في انفعال :

استطرد (دافيد) في انفعال :

— لقد غادر الفندق في الخامسة ، وهو يحمل وجهها
جديدا ، تمامًا كما توقعت يا جنرال ، فبعد رجائنا إلى الحدود ،
بعد أن استأجر سيارة رياضية ، باسم (رودلف جانج) .

سأله (سمحون) بلهجة التحول :

— ومتى غير الحدود ؟

أجاب (دافيد) في حماس :

— منذ ربع ساعة .. في السادسة تمامًا .

ارتست على شفتي (سمحون) ابتسامة غريضة ، وهو
يقول في هدوء :

— عظيم .. الوزير يتحرك على رقعة الشطرنج ، كما خططنا
له تمامًا .

هتف (دافيد) في شغف :

— ما الخطوة التالية يا جنرال ؟

مط (سمحون) شفتيه في تكاسل ، وقال :

— لقد أصبح الوزير الآن داخل رقعة ، وهو — كما
تعلم — يمكنه التحرك في جميع الاتجاهات ، والوسيلة الوحيدة
لقتله ، هي أن نخطئه بكل أحسننا وبإدقها ، مع تأمين كل
واحد منها ، حتى لا نسمح له بالإفلات ، وحينئذ يصبح ترتيب
الرقعة في صالحنا ، تنقش عليه حصان رابح ، و

طرق إصبعه في الهواء ، قبل أن يستطرد من سخرية :

— كيش .. مات .

وأغلق عينيه ، وهو يتخيل رقعة شطرنج ، على نفس النحو
الذي يخطط له ، على حين سأله (دافيد) في اهتمام :

— وماذا عن (موسى) ؟ .. لقد تبعه إلى هناك ، وسيغسل
بعنايه كل شيء .

ظلت عينا (سمحون) مغلفتين ، وهو يقول :

— (موسى) لم يقد بعد من رجائنا .. لقد تمرد ، وخالف
الأوامر ، وهو الآن مجرد بيدق شارد .

سأله (دافيد) في قلق :

— وماذا تفعل باليدق الشارد ؟

مط شفتيه مرة أخرى ، وهو يقول في تحول :

— نزيحه عن رقعة الشطرنج ، أو نجعل منه طعنا للإفراج
بالوزير .

واتسم ابتسامة باردة ، وهو يستطرد :

— هذه هي قواعد اللعبة يا صديقي .

لم يكن (أدهم) يستقر في تلك الحجرة ، التي استأجرها

باسم (رودلف جايج) ، حتى رفع سَمَاعَةَ الهاتف ، وقال
لعاملة الاستقبال :

— أريد محادثة عاجلة للقاهرة ... نعم ... محادثة شخصية ،
باسم (قدرى محمود) .

أعاد سَمَاعَةَ الهاتف ، وألقى جسده فوق الفراش ،
وأبسل جفنيه في إرهاق ، وراح يفكر في عمق ..

لقد غير الحدود ، وأصبح الآن في الشرق ، ولكن
أين وكيف يجد (منى) ؟ ..

إن كل ما يعلمه عن مخطئها هو أنهم من (الموساد) ،
ويملكون سيارة سوداء كبيرة ..

وهل هذا يكفي ، في مدينة كبيرة كـ (برلين) ؟ ..
ولكن مهلاً .. هم أيضًا يريدونه ..

لقد اختطفوا (منى) ، ليصلوا بواسطتها إليه ..
فليتركهم هم يجدونه إذن ..

سيخاطر بكشف أوراقه ، حتى يجذبهم إليه ، ثم يقلب
الأمر ، ويصل عن طريقهم إليها ..

ياله من قول يسير لفكرة عسيرة !!
ولكنه لن يتخلى عن (منى) ..

سيقاقل من أجلها حتى النهاية ..

لنرى كم مرة قاتل ، لاستعادتها من مخطئها ؟ ..

كم مرة تكررَت الصورة نفسها ، وتكررَ الموقف ذاته ؟ ..

النزعه من أفكاره وبين الهاتف ، فهبَّ من فراشه ،
واختطف سَمَاعَتَهُ ، وهو يقول في لحظة ، لم تصه أن يتحدث
بالألمانية :

— (رودلف جايج) .. من المتحدث ؟

نقلت إليه أسلاك الهاتف ضحكة مجلجلة ، بعث الارتفاع
في نفسه ، قبل أن يعقبها صوت (قدرى) ، وهو يقول
بالعربية :

— لست أفهم الألمانية يا عبدنيقي .. كنت واقفاً من أنه
أنت ، ماذا تفعل في (برلين الشرقية) بالله عليك ؟

أجابته (أدهم) بالعربية في هدوء :

— ذهبت خلف (منى) ، فقد سبقتني إلى هناك ..

امتلاً صوت (قدرى) بالقلق ، وهو يقول :

— أهي زيارة ودية ؟

أجابته (أدهم) في هدوء :

— بل إجارية ..

هتف (قدرى) فى افعال :

— متى تحب أن آتى إليك ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يتهدد :

— على أول طائفة يا صديقى ، ومعك كل الأدوات

اللازمة .

سأله فى حماس :

— أين ومتى نلتقى ؟

أجابه فى عدو :

— الخامسة مساء غد ، أمام مقر الحزب .

هتف (قدرى) :

— اتفقنا . متجدي هناك فى الموعد ، حتى ولو

اضطرت للقدوم غدًا .

اتسم (أدهم) ، وهو يفهم :

— هذا ما أنتظره منك يا صديقى .

ووضع سماعة الهاتف ، ثم عاد يلقى جسده فوق

الفراش ، وأخذ التعاس يسأل إلى جفنيه فى بظء ، ولكن فجأة

ارتفع صوت طرقات قوية على باب حجرته ، لهب مرة أخرى

من فراشه ، وقال بالألمانية :

— من ؟

أناه صوت الأتوى صارم ، يقول :

— تفتش الأمن .

هتف فى حلق :

— أتوقظونى من أجل ذلك ؟

أناه الصوت الأتوى الصارم يقول :

— هذا أفضل من إقائك فى السجن على الفور .

أدهش الجواب ، فاجسم فى سخرية ، وهو ينهض إلى

الباب ، مغمغماً :

— يا إلهى !! أننى أخرى متوحشة .. أراهن أنها على غرار

الأخريات ، رائعة الجمال .

لم يكذب يفتح باب حجرته ، حتى أبين أنه على حق ، حيناً

تعرف وجه فتاة الأمن الشقراء ، التى اختطفت (متى) .

لقد كان أمام (مارتينا بوشكين) .. وجهها لوجه ..

تطلع (سمحون) إلى عقربى ساعته ، واتسم فى تراج .

وهو يفهم :

— المفروض أن تكون (مارتينا) في حجرته الآن ، طبقاً
للحظة .

سأله (دافيد) في لحظة :

— هل سيأدر بقطه ؟

هز (سمحون) رأسه نفياً ، وهو يقول :

— مطلقاً . إنها حتى لن تحاول .

عنت (دافيد) في دهشة :

— لماذا ذهبت إليه إذن ؟

أرسمت على شفتيه ابتسامة خيثة ، وهو يجيب :

— عجباً !.. ألم تفهم أصول لعبة الشطرنج بعد ؟.. إننا

لحاصر الوزير .

هتف في خيرة :

— ولماذا لا نقطله على الفور ؟

تألفت عينا (سمحون) ، وهو يجيب :

— لأنه مراوغ بارع ، يجد لفرة دائماً في زُفلة الشطرنج ،

حينما نظن أنك في طريقك إلى الانتصار .

وإزدادت عيناه تألقاً ، وهو يستطرد في شجاعة :

— أما في هذه المرة ، فستأخذ من سد كل الثغرات أولاً ،

ثم تعرب ضربتها ، وإلا فما استحققت عملينا ذلك
الاسم الأثيق .

ولوح بكفه ، وهو يردف في سخرية :

— اسم (تصفية الشيطان) .

مضت لحظة من الصمت ، التفت خلالها عينا (أدهم)

بعيني (مارتينا) ، وتحيل إلى (أدهم) أنه يلمح في عينها

وميضاً شامخاً ساخراً شرساً ، قبل أن تقول في برود :

— الملازم (مارتينا بوشكين) .. أوراقك من فضلك .

ناولها (أدهم) جواز السفر ، وهو يغصم :

— أهذا أسلوبكم في معاملة السالحين ذوي ؟

أجابته في برود ، وهي تتمتع في صورة الجواز :

— ليس كلهم .

ثم أعادت إليه الجواز ، وهي تنقرس في ملامحه ، قائلة في

سخرية :

— عجباً !.. إن ملاحك تبدو لي جامدة يا هزر

(رودلف) ، كما لو كنت

وضاقت عيناها ، وازداد اتعاها ، وهي تستطرد :

— كما لو كنت ترتدى قناعاً .

أقسم (أدهم) في برود ، وهو يقول :

— وملاحك أيضاً تبدو لي باردة آتيا الرفيق (مارتينا) ،

كما لو كنت لوخاً من الثلج .

عقدت حاجبيها في غضب ، وهي تقول في جدّة :

— من حسن حظك أنني أقوم بالتفتيش وحدي هذه

الليلة ، فلو كان حارساي معي لـ

قاطمها في اهتمام :

— أنت وحدك حقاً ؟

خدجته بنظرة باردة ، ثم ترجعت بضع خطوات ، وفجأة

انزعجت سدسها ، وصوبته إلى صدره ، وهي تقول في شراسة :

— ولكن هذا لا يفي أنني صيد سهل المثال ، يا هنز (جانج) .

وتألفت عنها في وحشية ، وهي تردف :

— أم هل تحب أن أخاطبك باسمك الحقيقي ، يا هنز

(أدهم صيري) ؟

١٠ — الحصار ..

كانت (مارتينا بوشكين) تتوقع أن يتراجع (أدهم) في

ذهول ، وأن يصعقه كشفها لأمره ، إلا أن الدهشة كانت من

نصيبها هي .. فلم تكذب حروف آخر كلماتها ، حتى تحزكت

قدم (أدهم) كالقنبلة ، وركلت سدسها ، فأطاحت به

بعيدا ، ثم اندفعت كفه في سرعة مذهلة ، وقبضت على شعرها

الأشقر الناعم الطويل ، وجذبها إليه في جدّة ، ثم أحاط فمها

بكفه ، ولوى ذراعها خلف ظهرها ، وهو يقول في سخرية :

— جميل منك أن جعلت الأمر أكثر سهولة وسرعة ، فقد كنا

سنضيع الكثير من الوقت ، في تعارف ومحاملات سخيفة

قاومت في شراسة ، وزاحت تضرب ساقه بقدمها ، وتغشم

وجهه وثيابه باظفار يدها الحرة ، إلا أن ذراعيه كانتا غيظان بها

كالقولاذ ، وهو يستنرد :

— لا تقاومي يا عزيزتي (مارتينا) ، فهذا سيزيد من التواء

ذراعك خلف ظهرك ، ويضاعف من آلامك بالتسالي ..



للم تكذبة حروف آسى كلماتها ، حتى تحزكت قدم (أدهم) كالفضة .
وركلت مسدسها ، فأطاحت به بعيدا .

استسلم يا عزيزتى ، وأخبرينى فى هدوء : أين (منى) ؟
وما علاقتك بسلطات (برلين الشرقية) ، ما دامت تعملين
لحساب (الموساد) ؟

واصلت مقاومتها فى شراسة ، وتركها هو يحاول لمس
دقاتك كاملة ، حتى غمر العرق وجهها الجميل ، وبلىل شعرها
الذهبي الناعم ، فاستكانت فى استسلام ، وهنا رفع كفه عن
فمها ، ودفعها إلى الفراش ، وهو يقفز : ليكقط مسدسها ،
ويصوبه إليها ، قائلاً :

— هيا يا عزيزتى (مارتينا) .. إننى أنظرك جواب
السؤالين .

هتفت فى غضب وسخط .

— أيتها الغنى .. لن تستعيد رقيقتك أبداً .. إنها هناك ، فى
قبو السجن المركزي ، الذي يحشى سكان (أوروبا) كلهم
المرور إلى جوارحه ، وسألتهم عنها اعترافاً بالتجسس .
وستقتضى ما بقى من عمرها فى غياهب السجون ، أو تختصر
فرقة الإعدام عذابها .

عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

— أيتها الحقيرة !!

ثم مال نحوها ، وألقى قُوته مسلّسها بحبتها ، وهو
يستطرد في صرامة :

— هل يعلم رؤساؤك أنك تعملين لحساب (الموساد) ؟
استنّت في عصبية ، وهي تقول :

— لقد حاولت زميلتك الغيبة أن تشرح لهم ذلك ، ولكن
أحدا لن يصدّقها ، كما لن يصدّقك أحد ، فأنا واحدة من أهم
رجال الـ (كى . جى . ك) ، وحلّ لقّة جميع رؤساء الجهاز ،
والحزب الشيوعي .

اعتدل ، وهو يقول في صرامة :

— من يدري أينما الأفعى ؟ .. حتى قُوّهات البراكين
الحاملة ، تنفجر منها الحُصم يوما .

لم يكذب يتمّ عبارته ، حتى ارتفعت طرقات قُوّة على باب
حجرته ، مصحوبة بهتاف صارم يقول :

— لقد مضى الوقت المُنطق عليه ، أينما الرقيق الملائم ،
سنفتحهم الحجر بعد خمس ثوان ، عالم تغادروا على قيد الحياة ،
بصحبة الأسير .

استنّت (مارتينا) في سخرية وخمالة ، وهي تقول :
— هل سمعت أينما الرقيق (أدهم) ؟ .. لقد كذبت عليك ..

إنني لم آت وحدي .. إن الفندق كله محاصر برجالى ، وليس
أمامك سوى الاستسلام .. أو الموت .

اندفع (دافيد) داخل حجرة الجنرال (سمحون) ، وهو
يتف في انفعال :

— لقد أفسدت (مارتينا) الحطة أينما الزعيم ، لقد أبلغنى
عميلنا في (برلين الشرقية) الآن ، أنها قد حاصرت الفندق
برجالها ، وتبوى اقتاص (أدهم) .

احتقن وجه (سمحون) ، وهو يتف في غضب :

— تلك اللعينة !!

هتف (دافيد) في توتر بالغ :

— ماذا نفعل ؟

تلاشى احتقان وجه (سمحون) تدريجيا ، واستعاد لونه
الأصلى ، وهو يفكر في عمق ، ثم لم يلبث أن أجاب في هدوء :
— لا شيء في الوقت الحالي .. لا يمكنك استعادة لعبة ، على
زقعة الشطرنج .. لقد لجأت (مارتينا) إلى الحطة فرعية سخرية ،
وهي تظن أنها أكثر ذكاء ، فلننظر إذن رد فعل الخصم .

هتف (دافيد) :

— وماذا لو نجح في الفرار ؟

هز (صحبون) كتفيه ، وقال :

— هذا أحد الخطين المقترحين ، فهو إما أن يلقى حتفه ، أو
ينجح في الفرار ، وفي الحالة الأولى تكون المباراة قد انتهت ..
وسأعمل على إرسال جثة إلى (القاهرة) ، في تابوت فاخر ،
على لففتي الخاصة .. أما في الحالة الثانية ، فسيكون علينا أن
نبدل مزيداً من الجهد ، لتعيد الخطوة إلى ما كانت عليه .

ثم صمت لحظة أخرى مفكراً ، وأردف :

— نمر رجالنا بمحاصرة الفندق بدورهم ، ومراقبته في
عناية ورعاية فالتفتين ، وإذا ما نجح ذلك الشيطان المصري في
الفرار ، وهذا ما أتوقعه ، فليهم مراقبته وضعه فقط ، وبعد هذا
سأحدد أنا الخطوة التالية .

وأغلق عينيه في هدوء ، مستظرفاً :

— إنها لعبة تحتاج إلى الصبر بأرجل .. والدكاء ..

جاء رد (أدهم) ، على عبارة (مارتينا) الساخرة
الشامنة ، على هيئة صغمة قوية ، هوى بها على وجهها ،
فأسقطها فوق الفراش فافقدة الوعي ، ثم تحرك في سرعة ..

كان يعلم أن عليه أن يتحرك بأقصى سرعة ممكنة ، حتى
تكون هناك فرصة ، لإفلاته من ذلك الحصار ..

وفي سرعة ، أطفأ أضواء الحجرة ، ثم اندفع نحو النافذة ،
وفتحها على مصراعها ، وتأكد من وجود إفريز مناسب
خارجها ، ثم التفت إلى الباب ، وأطلق عليه ثلاث رصاصات
متوالية ..

وهنا اندلع الحميم ..

انهالت رصاصات رجال الأمن على رجاج الباب ، حتى
فصلوه عن منته ، واتحصنوا بالحجرة في عنف وإصرار ،
وأضاء أحدهم مصابيحها ، ثم توقف الجميع في دهشة ..

كانت الحجرة خالية ، إلا من جسد (مارتينا) ، الملقاة
فوق الفراش ، فافقدة الوعي ، وكانت النافذة مفتوحة ..

واندفع الجميع نحو النافذة ، وأطل منها أحدهم ، ثم هتف :

— لقد غادر الحجرة من النافذة بالتأكيد .. هناك إفريز

عريض ، يقود إلى الحجرات المجاورة .. انتشروا في الفندق ،
ونقشوا حجراته حجرة حجرة ..

بقى الثمان منهم داخل حجرة (أدهم) ، على حين اندفع
الآخرون خارجها ، لتشتت بأل حجرات الفندق ، وتحس

أحدهما تلك العلامات الحمراء ، التي خلغتها صبغة
(أدهم) ، على وجه (مارتينا) ، وهو يغمط في سخرية :
— كم يروق لي ذلك الجاسوس ، إنه الرجل الوحيد في
العالم ، الذي أحسن معاملة الرفيق (مارتينا) ، على النحو
الذي يستحقه .

ابتسم الآخر ، وهو يقول :

— هذا صحيح ، إنها تدولي — أحياناً — أكثر خشونة
من الجنرال (بافلوف) نفسه .

عجز الأول بعينه ، وهو يشير إلى الباب المفتوح ، قائلاً :
— مارتينا لو أغلقنا الباب ، لنعم بتدخين سيجارة في
آثناء الخدمة ، وفي حجرة الرفيق الملازم (مارتينا بوشكين)
شخصياً ؟

تردّد الثاني لحظة ، وألقى نظرة قلقة على (مارتينا) ، ثم
ابتسم ، قائلاً :

— نعم .. ولم لا ؟

ثم أسرع نحو الباب ، وهو يبتسم في خبث ، وأغلقه ..
وفجأة .. تلاشت ابتسامته ، واشترك مع زميله في نظرة
دهشة وعلع ، فلقد كشف مصراع الباب ، حيناً أغلقه

الجندي ، عن رجل وسيم ، يقف خلفه هادئاً ، ولقد ابتسم
هذا الرجل في هدوء ساخر ، وهو يقول :

— مرحباً .. هل تمرّ الحافلة العامة من هنا ؟

ويبدو أن الشعب الألماني من ذلك النوع ، الذي
لا يتسرع الدعاية .. فلم يكذب (أدهم) بلقى بعبارته
الساخرة ، حتى تراجع الجنديان ، ورفضاً قوياً مدفعيما
الآتين إلى وجهه ، وفقرت أصابعهما إلى زنادي المدفعين ..

ماذا تفعل لو أنك ألقيت يوماً دعابة ، فواجهك
مستمعوها بقوّهات المدافع ؟

قد تسخط ..

أو تفضب ..

أو تلذعر ..

أو تغلر هارناً ..

ولكنك لن تفعل — بالتأكيد — ما فعله (أدهم) ..

لقد رفع الجنديان قوّهتي مدفعيما نحوه ، وهما يتصوران
أن رصاصهما سيحرق جسده كله ، ويحوّله في لحظة إلى
غريال ، فلي بالنصوب ، إلا أنه لحيل إليهما أنهما مهرجان في

فيلم عزلى ، يدور بسرعة بطيئة ، أصاف اخرج مشهدا
بالسرعة الفائقة ..

لقد ارتفعت قدم (أدهم) فى سرعة مذهلة ، لتترك المدفع
من يد أولهما ، ثم انحنى ، ودار على عقبيه ، وقفزت قدمه
الأخرى لتعظم ألف الفاتى ..

ثم جاء دور قبضته ، فهوت انحنى على فلك الأول ، لتظهر
التنين من أسنانه ، وانقطعت اليسرى على معدة الثانى ، التى
كادت تقفز من فمه ، لولا أن كتم (أدهم) طريقها بلكمة
أخرى ، فلات هذا الفم بالدماء ..

وأسرع (أدهم) يتزع ثياب أقربهما حجما إليه ، وهو
يقول فى صخرية :

— شكرا لإغلاقكما الباب ، ولكن حذار من التدخين ،
فهو يسبب العديد من أمراض الصدر والرئتين ، ويقلل من
قدرة المرء على القتال .

وفى سرعة ، شرع يرقى ثياب الجندي ، وهو يلقى نظرة
سريعة على (مارينا) ، ليتأكد من أنها ما زالت فاقدة
الوعي ..

وفى نفس اللحظة ، التى غنر فيها النافذة المفتوحة ، كانت

هناك عيان لراقبان ما يحدث فى الهتمام ، وصاحبهما يحشر
خزاة بندقيته ، ذات المنظار المقرب بالرصاصة الفاتلة ..

كانت عيني (موسى) ..

(موسى حاييم دزرائيل) ..

الرجل الذى لم يخطئ إصابة هدفه أبدا ..

وفى هدوء وثقة ، رقد (موسى) على بطنه ، فوق سطح
البنى المقابل لخرقة (أدهم) ، وأسند كعب بندقيته إلى
كففه ، والصق عينه بعدسة المنظار المقرب ، وجعل رأس
(أدهم) عند نقطة تقاطع الخططين الأفقى والرأسى ، اللذين
يحكما ان التصويب على الهدف ، وغنم فى هدوء :

— الوداع يا (أدهم صبرى) ..

وحسن أنفاسه ..

ومرة أخرى لؤكده ..

أن (موسى دزرائيل) لم يخطئ إصابة هدفه قط ..

(انتهى الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى)

(الجحيم المزدوج)



د. نيل فاروق

رجل

الاستخبارات

سلمية

روايات

بوليسية

للتجسس

زاخرة

بالأحداث

المفيرة

٦٦

التميز في مصر

٩٠

وما يعادله بالدولار

الأمريكي في مثله

الدول العربية

والعالم

ألف وجه

• مأساة حوادث القتل البشعة . التي

تعرض لها رجال المخابرات المصرية ، في

الحمام (أوروبا) ٢ .

• كيف التقى (أدهم صبرى) مرة

أخرى ، بأخطر جنّات (الموساد) ،

(موسى فوزي) ٢ .

• لمن يكون السحر في معركة الألف

وجه ٢ . وكيف يبنى القصر بين

عمالقة المخابرات ٢ .

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، لتري كيف يعمل

(رجل السجّل) .



العدد القادم : الجحيم المزدوج